

(مطارحات نقدية للطروح الاستشراقية)

خالد إبراهيم المحجوبي



الاستشراق والإسلام

(مطارحات نقدية للطروح الاستشراقية)

خالد إبراهيم المحجوبي



طـبعة 2010 ف

الوكالة الليبية للترقيم الدولى الموحد

دار الكتب الوطنية

بنغازى – ليبيا

رقم الإيداع : 933 / 2008

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

سورة آل عمران

الآيتان 70 – 71

الإهـــداء

إلي كل طالب علم لم يجد الرياء إلي قلبه سبيلاً، ولم يجد الكبر في نفسه موئلاً؛ فيئس المراء من امتطاء لسانه، وذاب الغرور من إخباته.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونتوب إليه من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً.

والصلاة والسلام على النبى القدوة والرسول الأسوة، محمد بن عبد الله، وعترته وصحبه ومن والاه، واستن بسنته واتبع هداه.

وبعد :

فهذا جهد متواضع، اتخذ صورة بحث (1)، حاولتُ فيه تسليط الضوء - قدر المستطاع -وتركيزه على فضاء مهم، فى عالم البحث العلمى والدراسى الذى كان من شأنه أن حط رحاله ونصب أطنابه فى حقل الدراسات الإسلامية والشرقية بعامة، أعنى بهذا (الحركة الاستشراقية) وما تمخضت عنه من دراسات، وبحوث كبيرة وكثيرة لاتكاد تحصى. سطرها وأودعها بطون الكتب مئات ممن وهبوا أنفسهم وسخروا إمكاناتهم بأنواعها سواء الفكرية أو البدنية أو غير ذلك مما كان فى طوقهم بذله وتقديمه، فى سبيل التصدى بالبحث والدراسة للتراث والفكر الشرقى بعامة، ولاسيما الإسلامى، والكتابة فى ما يتعلق به من مباحث، فجاءت دراساتهم و بحوثهم، تترى غير قليلة لاتكاد تحصى ولاتعد. وقد كانت نتائج هذه الحركة الاستشراقية غير محدودة كماً وكيفاً، حاملة لآراء ونتائج جديدة لاعهد لعلماء وباحثى العرب بها من قبل، أظهرها واجترحها المستشرقون، من غير تحديد منا لمجال معين وسعته، وذلك لأنهم لم يتركوا زاوية من زوايا العالم الشرقى إلا وكتبوا فيها، ولا جزئية من جزئيات

---

(1) كتبته وقت كنت طالبا فى المرحلة الجامعية عام 1994 - 1995 . وفى هذه الطبعة المتأخرة أبقيت عليه كما هو بأسلوبه وهيكله وفحواه بلاتغييرات مؤثرة. رغم رغبتى فى تعديل بعض مافيه.

المباحث الإسلامية – تحديدا – إلا وتناولوها بغض النظر عن النتائج وموضوعيتها أوعدمها.

أقول لما كانت الحالة هذه، فقد استأثرت الظاهرة الاستشراقية باهتمامات المثقفين والبحاث العرب والمسلمين، ويلفت أنظارهم نحوها، مستشعرين ماتنطوى عليه، من أهمية و أخطارليس من الحكمة ولا الفطنة غض النظر عنها، والتقليل من شأنها، وهى فى حقيقتها – أى الظاهرة الاستشراقية – إحدى أبرز مظاهر جدلية الشرق والغرب والتفاعل الدائم بينها. ومن ثم فقد شمر الباحثون والمحققون من أهل الشرق والإسلام عن سواعد الجد منطلقين فى سبيل غايته الإحاطة بهذا الوافد الغريب، واحتواؤه، واستكناه أغواره وكشف أهدافه وأوطاره: فقاموا بعمليات جرد، وتحقيق وتحميص للنتاج الاستشراقى، وكتبوا فى هذا السبيل، ما لا يسعنا احتصاره بسهولة؛ لكثرته، متخذا صورا كاثرة. كالمقالات والبحوث الكتب والفهارس، وقد كتب كذلك ماكان فى مضمار المناقشة والتفنيد والدحض، فى مقابل النتاج الاستشراقى.

كما ظهرت كتب أرخت للاستشراق وأعلامه، وكتب لرصد آثاره، وكتب ظهرت لتقييم الاستشراق بعامة فى صورة مزدوجة المضمون، فمنها ماحوى تهجما وتجريحا، وتعدادا للمثالب والأخطار، ومنها ما جاء معددا لمحاسن الاستشراق، مبينا لماله من أفضال للبحث العلمى، وإن كانت الغلبة على صعيد الكم للضرب الأول، كما هو ظاهر فى كتابات من كتب عن هذه الظاهرة من العرب والمسلمين بعامة.

وإن دلت كل هذه الدراسات والتصنيفات على شيئ، فإنما تدل على مدى تغلغل النتاج الاستشراقى فى أوساطنا، ومدى الأهمية الكبرى التى ينطوى عليها.

ولامراء فى أن الحركة الاستشراقية، تستأهل كل هذا الاهتمام، الذى اتخذ صورة ردود الفعل آنفة الذكر. ولامجال لأى كان فى أن يهون من أمرها ويغمط أهميتها، كيف لا، وروادها هم الذين اتجهوا باذلين كل ما فى المكنة لتراثنا الشرقى والإسلامى-- بغض الطرف عن الهدف – بالكشف، والجمع، والصون، مع التقويم، والفهرسة مما أنقذه – أى التراث – من خطر كان يرتع حوله ويحيق به ألا وهو خطر الموت بين جدران المكتبات والمتاحف والجمعيات، ومظان وجوده، ولقد «عمدوا إلى

درسه وتحقيقه ونشره، وترجمته، والتصنيف فيه : فى منشئه وتأثره وتطوره، وأثره وموازنته بغيره، واقفين عليه مواهبهم، ومناهجهم وميزاتهم، مصطنعين لنشره المعاهد، والمطابع ، والمجلات ودائر المعارف، والمؤتمرات، حتى بلغوا فيه، منذ مئات السنين فى شتى البلدان وسائر اللغات مبلغا عظيما من العمق والشمول والطرافة، وأصبح جزءً لا ينفصل عن تراثنا. ولا تؤرخ الحضارة الإنسانية إلا به، وقد عرف الغرب منه أصالتنا.(1)

ومن ثم فلا وجه لما قام به كثير من كتابنا من عمليات التقليل من شأن الاستشراق وغمط ما أزجاهْ من منافع وفوائد، للتراث العربى الإسلامى، فالحق إن هذا مما لاينكره إلا مكابر، متنكب للموضوعية، حائد عن الجادة.

ولعل من مهمّ القول أن نذكر كون الحركة الاستشراقية بعامة قد انطوت على صنفين من البحاث والدارسين : فالأول – جاء تناوله البحثى وإنتاجه الدراسى متنكباً للحقائق، مجانبا للأسلوب العلمى، والبحث الموضوعى، هادفا لأغراض وأوطار لا علاقة تربطها بالبحوث العلمية البتة.

أما الصنف الثانى فيمثله ثلة من المستشرقين الأُلى(*) يمثلون الوجهة المشرقة للاستشراق ذلك أنهم ساروا فيما كتبوا وسطروا، على نهج الحقيقة العلمية تحت نور الموضوعية، غير محملين بشحنات الحقد، ودفقات التعصب، مما لم يخل منه ممثلوا الصنف الأول من الوجه الاستشراقى.

ومما دفعنا لاجتباء واصطفاء هذا الموضوع بالذات ليكون محور بحثنا، ونقطة درسنا، إدراكنا للأهمية التى ينطوى عليها هذا المبحث– أى دور الاستشراق تجاه الإسلام – فهو موضوع لا يليق بطلبة العلم جهله والغفلة عما يكتنفه وما يترتب عنه، ومن ثم فقد اخترنا أن يكون موضوعا لهذا البحث، لاسيما أننى قد لاحظت أن أكثرطلبة العلم ليست لديهم فكرة لائقة عنه سواء الذين هم فى مراحل التعليم وسبله الرسمية – المدارس والجامعات – أو الذون يطلبون العلم على الأصعدة المطلقة، من

---

(1) نجيب العقيقى (المستشرقون) دار المعارف – ط 14 /7.

(*) الآلى جمع الذى، قال ابن مالك (وجمع الذى الألى الذين مطلقا) .

المجالات الحرة غير الأكاديمية – بطريقة الإطلاع الفردى على مظان المعرفة والثقافة – وهذا حال غير مرضٍ ولامفرح، كل هذا فضلا عن كون هذا الموضوع قد شغل منذ وقت سابق اهتمامى شخصيا ولم أتمكن من إشباع فضولى العلمى، وإرواء رغبتى فى سبر أغوار هذه الحركة، واستكناه خفاياها فيما سبق لغير سبب وظرف.

ولما كان هذا المجال – أى عالم الاستشراق – واسعا متفلت الحدود، رحب الأفناء، فقد حصرنا مجال بحثنا، فى زواية محددة من فضاء الاستشراق الرحب، وكان أن حددت تلك الزاوية ليدور حولها هذا البحث، فى موضوع علاقة الحركة الاستشراقية بالدرلسات والمباحث الإسلامية، وجعلنا ذلك تحت عنوان عام هو: «الاستشراق والاسلام».

ولما كانت طبيعة التناول البحثى فى زواية محددة دون غيرها، فقد حق أن تكون هذه الزاوية متعلقة بالموضوع، إما من الناحية الموضوعية، أو الناحية المكانيةِ، أو الزمنية التاريخية. فكان أن اخترنا الناحية الموضوعية مجالا لبحثنا، وبالتالى حسن تحديد موضوع بعينه أو مواضيع بذواتها؛ لتتم دراستها فاجتبينا من بين المباحث الإسلامية، مباحث أربعة، وكانت الآتية: مبحث عالمية الاسلام ورأى المستشرقين ومبحث القرآن ونظرة المستشرقين إليه. ومبحث تاريخ السنة وعلم الحديث، ومبحث السيرة والتناول الاستشراقى. مبينين من خلال هذا البحث بعد بيان مفهوم و مراحل الاستشراق تفاصيل التناول الاستشراقى لهذه الأربعة المباحث باتباع طريقة العينة فى العرض، أعنى عرض الأفكار والشخصيات ودراستها، ومن بعد ذلك نقدم التصويبات والردود المناسبة على ذاك التناول. وإثر ذلك نوضح ما لهذه الحركة الاستشراقية وما عليها مع توضيحٍ لخصائص بحوثها وطبيعة دراساتها وبعض النقاط الأخرى المتصلة بما سبق ذكره ثم نختم بخاتمة نضمنها ما تيسر لنا من نتائج من شأن هذا البحث أن يتمخض عنها، ندونها والأمل يحدونا، سائرينِ مشفوعين برفقه الرجاء فى أن نكون قد قدمنا من خلال هذا الجهد فائدة، لمن سيكتب له أن يطلع على بضاعتنا هذه، والتى حاولنا أن تكون فى مستوًى مرضٍ قدر ما فى طوقنا ومبلغ مكنتنا، مع ملاحظة أن هذه الدراسة أردت بها أساسا أن تتوجه لأولئك الذين يطلبون العلم فى مراحله الأولى من طلاب الجامعات والمعاهد العليا ومن هم على شاكلتهم وفى مستواهم؛

بحيث يكون هذا بداية طيبة تفتح لهم أفق الدراسة المناسبة لواقع وحقيقة الاستشراق والمستشرقين، فى مندوحة عن تأثير بعض الدراسات والكتابات غير الموضوعية وغير الدقيقة، مما تعج به المكتبة العربية وتزدحم، والتى كان من تأثيراتها أن شوهت أوجهاً جميلة ، وأظلمتْ وأعتمتْ زوايا ووجهات مشرقة لم تستحق التشويه والإظلام. وهذا ماتسير، فمنا الجهد وعلى الله التكلان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليما.

خالد المحجوبى 1995 م

مدينة صرمان - ليبيا

تمهيد

الاستشراق: المفهوم والتطور

مفهـــوم الاســـتشـــراق

الاستشراق من الجذر (ش، ر.ق) . الذى تتفرع عنه عدة ألفاظ بمعان متقاربة .
والاستشراق هنا كلمة مشتقة من الشرق «ويطلق أهل اللغة لفظة الشرق على الشمس :يقال طلع الشرق .... والتشريق : الأخذ من ناحية الشرق)، .[1]

«ويقال شتان بين مشرق ومغرب، وأشرق الرجل أى دخل فى شروق الشمس [2] وشرقوا ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق، وكل ماطلع من الشرق فقد شرق.. وفى الحديث: «أناخت بكم الفتن الشرق الجون» يعنى الفتن التى تجىء من قبل المشرق جمع شارق... والشرق والشرقة والشرقة موضع الشمس فى الشتاء... وأشرق الرجل أى دخل فى مشرق الشمس»[3]

هنا يظهر بوضوح من المعنى اللغوى أن الاستشراق كلمة مشتقة من الشرق... والسين هنا للطلب أى طلب الشرق ولها عدة معان كلها فى فلك واحد وهو الاهتمام أو الدراسة، أو التوجه، أو البحث الذى يقوم به الإنسان الغربى تجاه العالم الشرقى[4] وتحديدا العربى الإسلامى.

ولاجرم أن كل موطن نهدتْ قيمته وربتْ مكانته سيكون وجهة لمن لم تكتب لمواطنهم تلكم القيمة وهاتيك المكانة وهذه حقيقة الشرق الذى ظهر من أوجه فضله وزكاة قدره، أنه كان مثابة الوحى السماوى، ومهبط الرسالات، ومصدر الأنبياء،

---

(1) محمد بن أبى بكر الرازى، مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر- الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 336.

(2) إسماعيل بن حماد الجوهرى، الصحاح تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين 1501/4 .

(3) ابن منظور، لسان العرب – دار المعارف ح 4 ص 2244 – 2245

(4) بسام عجك، التراث الإسلامى والاستشراق، مجلة كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس ليبيا 1990– ع 7 ص 162.

حيث امتاز بالأنبياء كما امتاز العالم اليونانى الغربى بالفلاسفة على حد تعبير طه حسين.[1]

إن الاستشراق مصطلح حديث بالمقارنة مع التاريخ الزمنى للحركة الاستشراقية ونشأتها ذلك أن أول اطلاق له يرجع تاريخه «إلى أواخر القرن السابع عشر، حيث أطلق على أحد الذين عرفوا بعض اللغات الشرقية: وشهد أواخر القرن الثامن عشر دخوله إلى القاموس الإنجليزى ثم تطور إلى أن دخل القاموس العربى مترجما عن المصطلح الأجنبى: ORiENTALism بعد استعماله فى فرنسا لأول مرة سنة 1799 وبعدها فى الأكاديمية الفرنسية سنة 1838»[2]

والملاحظة أن الباحثين العرب لم يتفقوا على مفهوم محدد يمكننا اعتماده مدلولا للفظة الاستشراق؛ فكثرت التعاريف. ولكن يمكننا فى هذا المقام أن نضع مفهوما نعتمده نحن على الأقل بعد أن نسلّم بأن تقديم تعريف محدد للاستشراق متصفا بكونه جامعاً مانعًا يرضى الجميع، أمر جدٌ عسير، إن لم يكن مستحيلا؛ ذلك أن الاستشراق يؤخذ بعدة مفاهيم متداخلة ومتكاملة فى آن واحد. فهو أحيانا يراد به ذلك العلم الذى تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب. وأحيانا يقصد به أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفى والأيديولوجى بين الشرق والغرب[3]، ومرة أخرى يحدد مفهومه بالناس الذين يقومون به، ونعنى بهم المستشرقين وهم الكتاب الغربيون الذين كتبوا عن الفكر والحضارة الإسلامية. وبتعبير آخر قد يكون أكثر تحديدا نقول إن الاستشراق هو عملية التوجه التى يقوم بها الباحث الغربى، أو الشرقى غير العربى إلى العالم العربى والإسلامى، باحثا وممحصا ودارساً لأحواله وآدابه وعلومه وتاريخه، وثقافته بعامة، كاشفا عن أغوار كل ذلك. فيسمى القائم بهذه المهام مستشرقا، عند جمهرة الباحثين والدارسين.

---

(1) قادة الفكر– طه حسين. ص 37.

(2) محمد الزيادى (استشراق) مجلة كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس ليبيا 1994 – ع 10 ص 605 وانظر الاستشراق فى أفق انسداده / سالم حميش ص 7.

(3) سا سى الحاج – الظاهرةالاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية.

إنه توجُّه للشرق بكل ما يحوى، وليس توجها للدين الإسلامى والمسلمين فحسب، كما يحلو لكثير ممن غطّت عقولهم شوائب «نظرية المؤامرة» وسوء الظن فى كل شيء. ولعل هذا ما حفز أحدهم ليجعل هدف الاستشراق معرفة كل ما يمكن معرفته عن المسلمين.

وأذكى هذا الاتجاه العدائى للاستشراق بلا تحديد كتابات كتاب غير مدققين لهم شهرتهم ومكانتهم مثل محمد البهى الذى كان له دور متميز فى تشويه صورة المستشرقين.

نقد المصطلح

إن الناظر فى دلالة هذا المصطلح– الاستشراق – يلحظ أن دلالة لفظه لاتتواءم مع ما أريد له أن يدل عليه عند إطلاقه؛ ومرد ذلك عدم الدقة فى دلالة هذا المطلح ومشتقاته بعامة(*).

تجليةً لهذه القضية الجزئية فى هذا المقام نقول: يقصد بالعالم الشرقى أجزاء العالم المصنفة حسب التصنيف الأوربى فيضم كل الشعوب شرق قارة أوربا – والمقسمة بدورها إلى شرق أدنى، وشرق أوسط، شرق أقصى. وكما هو معلوم فقد ظهر من العالم الشرقى بحاث ودارسون غير عرب ولامسلمين، من روسيا مثلا والهند واسرائيل (فلسطين المحتلة)، قاموا بأبحاث ودراسات عديدة فى سبيل غايته درك خفايا التراث الاسلامى والعربى تحديدا واستكناه أغواره من شتى المناحى، فهؤلاء سيتم إخراجهم من قائمة الدارسين والمهتمين بالتراث العربى والإسلامى عند إطلاقنا على من يقوم بهذه المهمة لفظة مستشرق، ذلك أن مدلول كلمة مستشرق كما علمنا آنفا هو المتوجه والطالب لعلوم وآداب وثقافة الشرق. فكيف يتوجه للشرق من هو شرقى أصلا ؟ فإن قيل لا يقصد بالتوجه هنا، المعنى الجغرافى بل مطلق البحث والتقصى قلنا إذاً يسوغ لنا القول إن بحاثنا ودارسينا العرب أيضا مستشرقون لأنهم يبحثون ويدرسون آدابهم ويتوجهون لها ممحصين وهذا ما لايسلم به أحد.

(*) استشراق ومستشرق، ودراسات استشراقية .... الخ .

فلما كانت الحالة هذه وجب أن نغير المصطلح – استشراق – ليكون اكثر دقة فى دلالته على المراد فنسمى ذلك توجه إلى آداب وعلوم وثقافة العالم العربى مستعربا لامستشرقا، كى يدخل فى المدلول، الباحث الروسى، والهندى، والإيرانى.... الخ الذين هم من أهل الشرق.

إذا سيبقى مصطلح الاستشراق مستعملا فى بحثنا هذا شرط الانتباه الدائم لما يحمله من تجوُز فى دلالته القاضيه بإخراج باحثى الشرق من دخول مسماه.

نشأته ومراحله وتطوره

مر الاستشراق بمراحل أرى أن بداياتها الأولى كانت فى عهد فلاسفة الإغريق الذين توجهوا للشرق كتوجه طاليس للاسكندرية مثلا ثم كانت فتوح الاسكندر أيضا من بوادر التوجه إلى العالم الشرقى رغم عدم عد ذلك من مراحل الاستشراق بمعناه الشائع. لكن المراحل الواضحة هى:

المرحلة الأولى : مرحلة المرافقة للحملات الصليبية

هى المرحلة التى تزامن فيها التوجه للعالم الإسلامى بحثياً وكشفياً ، مع التوجه الحربى والعسكرى.

المرحلة الثانية : مرحلة مابعد الفشل الصليبى العسكرى

هذه المرحلة إحدى النتائج المترتية على فشل الحروب والحملات الصليبية التى باءت بالفشل ولم تحقق مآربها التى كانت ترمى لها الكنيسة، فبعد هذا الفشل العسكرى جرت محاولات اختراق العالم الشرقى والذى كان من صوره الإقبال على تعلم اللغات الشرقية لاسيما اللغة العربية. ومن الأمثلة على هذا جهود (رامون لول) فى الأندلس والذى صنفه زويمر بوصفه أول مبشر (1234– 1316) م. ثم تطور مجهوده فى صورة تأسيس المعاهد التى أُنيطت بها مسؤولية حمل أعباء الدراسات العربية تحديدا، ومن أمثلة ذلك مدرسة (بادوى) العربية. ثم تلا ذلك بدء الأديرة فى تدريس المؤلفات العربية المترجمة إلى اللغة اللاتينية[1]

---

(1) محمد الزيادى ظاهرة انتشار الاسلام ص 48.

وقد كان مترتبات هذا الاحتكاك العسكرى بين الشرق والغرب،؛ أن تجلت بصورة شبه جلية للغرب، بعض جوانب التقدم فى الحضارة الإسلامية، سواء التقدم العقدى المتبدّى فى إيمان المسلمين بعقيدتهم وجهادهم. أوالتقدم العلمى المادى الظاهر فى القدرات المادية الملموسة لدى العالم الشرقى الإسلامى.

إذاً رأى الغرب بعد احتكاكهم بالشرق أناساً عندهم حضارة وفلسفة وشريعة، فلفت كل ذلك نظر الغرب إلى الفكر العربى الإسلامى(1) فحفزهم إلى التوغل فيه بحثاً وتدقيقاً .

المرحلة الثالثة: مرحلة التنظيم

تبدأ من منتصف القرن 18 إلى نهاية الحرب العالمية الثانية. وفيها بدأ الاتجاه المؤثر والمنظم لحركة الظاهرة الاستشراقية وقد تمثل ذلك فى صورة بروز بعض البحاث والعلماء الغربيين فى هذا المضمار، وكانت صورة نشاطهم آنذاك ظاهرة فى إصدارهم للعديد من المجلات والدوريات فى كثير من بلاد الغرب مع دأبهم فى البحث والتنقيب على الكنوز العربية العلمية، المتمثلة فى المخطوطات والوثائق، وقد بلغت فى أوائل القرن التاسع عشر، مئتين وخمسين ألف مجلد 250.000 (2).

وبمرور الوقت ازداد عمل الحركة الاستشراقية تنظيماً، عندما أدرك روادها أهمية وضرورة العمل الجماعى والتكتل، ولم يكن ذلك ليتحقق إلا بإتاحة فرص التلاقى، ومن ثم التشاور وتبادل وجهات النظر فى سبيل تحقيق نتائج أنجع؛ فبدؤوا فى ذلك بعقدهم «أول مؤتمر للمستشرقين سنة 1783م، وتبع ذلك الكثير من المؤتمرات. وتميزت هذه المرحلة بظهور العديد من الكتب والموسوعات التى تناولت الثقافة العربية والإسلامية فى مختلف نواحيها»(3).

---

(1) انظرمجلة الثقافة العربية (لقاء مع د : محمد عماره) اجراه سليمان الشيخ، عدد ديسمبر 1976 السنة الثالثة. ص 75.

(2) محمد الزيادى، ظاهرة انتشار الإسلام – ص 63.

(3) نفسه ص 63.

وتعد هذه المرحلة التى استمرت إلى الحرب العالمية الثانية أخطر وأغنى المراحل التى مر بها تاريخ الاستشراق عبر مسيرته الطويلة ففى هذه المرحلة تشكل مصطلح الاستشراق ودخل دول أوربا، وبدأ ظهور الدوريات المعبرة عن هذه الفكرة تترى، ورحل كثير من المستشرقين إلى العالم العربى تحديداً واستقروا فيه.

المرحلة الرابعة : مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية

تعدُّ هذه المرحلة امتدادا لسابقتها – المرحلة الثالثة – غير أنها اتسمت بالتوسع والتطوير، بمعنى توسيع دائرة عضويتها، وتطوير أساليبها وطرائقها تمشياً مع التطور العصرى والتقدم العلمى والتغيرات الايديولوجية فاستمرت المؤتمرات الاستشراقية حتى اليوم[1] وصارت المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية فى الغرب تقوم بما كان يقوم به الملوك والأمراء فى الماضى من الإغداق على المستشرقين، وتخصيص الأوقاف والمنح على من يعملون فى حقل الاستشراق[2].

من صور النشاط الاستشراقى

مادمنا قد أشرنا آنفًا – ضمن سياق كلامنا على نشأة وتطور مراحل الحركة الاستشراقية – إلى زيادة نشاطات المستشرقين التى اتسمت بالتنظيم، فمن المناسب أن نعرض لأهم مظاهر النشاط الاستشراقى بذكر أهم صوره وهذه نماذج من صور نشاطاتهم متعددة الجوانب[3] :

فى عام 1887م أنشأ الفرنسيون جمعية المستشرقين، ثم صدرت المجلة الآسيوية.

– وفى عام 1842 انشا الأمريكيون الجمعية الشرقية الأمريكية وفى العام نفسه أصدر المستشرقون الالمان مجلة خاصة بهم كذلك فعل المستشرقون فى النمسا، وايطاليا،

---

(1) محمد الدسوقى. بحث (خصائص الاستشراق فى مرحلته الثالثة)، مجلة كلية الدعوة الإسلامية. ع 1 – 1985 ص 75 وما تلاها.
(2) محمد البهى، نفسه ص 535 الفكر الإسلامى.
(3) محمد البهى (الفكر الإسلامى والحديث وصلته بالاستعمار الغربى)– طرابلس داراليبيا و دار مكتبة الفكر ط 5 ص 537.

وروسيا. ومن المجلات التى أصدرها المستشرقون الأمريكيون فى هذا القرن مجلة جمعية الدراسات الشرقية ولها فروع فى لندن وباريس وليزج. وطابعها العام هو الاستشراق السياسى. وإن كانت تعرض من وقت لاخر لبعض المشكلات الدينية.

- فى لندن تألفت جمعية لتشجع الدراسات الشرقية، فى عام 1923 وصار الملك ولى أمرها. وأصدرت مجلة الجمعية الآسيوية الملكية.

- أصدرالمستشرقون الأمريكيون إحدى أهم المجلات التى يصدرها المستشرقون بعامة وهى مجلة العالم الإسلامى THE MUSLIM WORLD أنشاها صمويل زويمر فى سنة 1911 وطابع هذه المجلة تبشيرى سافر.

ولعل أهم وأشهر ما قام به المستشرقون- بحثيًا -حتى الآن إصدار (دائرة المعارف الإسلامية) بعدة لغات وكذلك إصدار موجز لها باللغات الحية التى صدرت بها كاملة.

واستطاع بعض المستشرقين ان ينتسبوا إلى المجمع اللغوى فى مصر والمجمع العلمى فى دمشق والمجمع العلمى فى بغداد فى صورة أعضاء.

ويعتمد المستشرقون على عقد المؤتمرات العامة من وقت إلى آخر لتنظيم نشاطاتهم، وكان أول مؤتمر عقدوه فى سنة 1783م ولازلت مؤتمراتهم تعقد.

واتجه المستشرقون بمعونات من بعض الهيئات السياسية والدينية إلى مجال التربية فساهموا فى غرس مبادئ التربية الغربية فى نفوس كثير من المسلمين[1] مما كان من شأنه إخراج نماذج متمسلمة فى صورة مفكرين وكتاب عرب مابرحوا يبثون سمومًا فكرية استوردوها واستقوها ممن تصدى لتدريسهم من المستشرقين وغيرهم، فنشروا كل ذلك ضمن مصنفات نشرت يتعاطاها العرب وأكاديموهم بخاصة.

عندما درس المستشرقون مقدساتنا درسها كثير منهم كتاريخ بشرى لاقداسة له- وفى هذه الدراسات- غير الخطأ والجهل والمغالطات- غمز ولمز كثير، وعلى هذا الدرب سار منا نفر تناولوا بعضا من مقدساتنا بالروح نفسها، والمعايير عينها، ومنهم

(1) محمد البهى (الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى) ص 538.

من عبر عن أفكاره هذه فى الصحف، فعلى سبيل المثال لا الحصر، جعل بعضهم من صحيفة المقطم سنة (1889، 1852) مدرسة لهذا اللون من فكرة التغريب. هذا فى الشام. ومن الأمثلة الظاهرة سلامة موسى (فى مصر) (1888 – 1957) فهو القائل «إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة، لأنها تقوم على أصل كاذب فان الرابطة الدينية وقاحة، إننا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا...»(1)

ولا أرى أن هذا الكلام بحاجة إلى تعليق، وغير هذا كثير، ولايتسع المقام للإطناب والإكثار من صور هذا الاتجاه الاستغرابى، والتمثيل بمن سلك سبيله ممن انسلخ من ربقة العروبة والاسلام ممن ينسحب عليهم قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾(*)

ومن الخطأ والميل عدُّ ممثلى هذا الاتجاه فى سلك المصلحين.

---

(1) انظر محمد عمارة (التغريب ماذا يعنى) مجلة العربى – عن وزارة الأعلام بالكويت 1987 – ع 345 – ص 32، 34.

(*) سورة النساء، 51، 52.

الفصل الأول
التنــــاول الاستشــــراقى
(عــرض وبيــان)

توطئة:

سنحاول في هذا الفصل أن نعرض لأهم مواقف وآراء المستشرقين متبعين نظام العينة فيما يتعلق ببعض أهم والمباحث والقضايا الإسلامية التى أكثروا من التصنيف فيها، على مختلف اتجاهاتهم ومشاربهم مع اختلاف طرائقهم التناولية. سواء أكانت موضوعية علمية، أم متعصبة مجانبة للجادة، وهذه سمة أغلب بحوثهم كما سنرى بإذن الله مشفعين هذا كله بما تسير من ردود وتوضيحات من شأنها أن تزيل الغبش الذى أضفاه بعضهم على بعض جوانب الإسلام؛ كى تظهر لنا الحقيقة جلية واضحة كما هى فى واقعها بعد تخليصها من أوحال التعصب واللاموضوعية، التى لطخها بها بعض الدارسين المستشرقين، إما بحسن نية شوهها الجهل، أو بعدم الاطلاع الكافى، وإما بسوء نية وخبث طوية.

وسنضمّن هذا الفصل- بإذن الله - مباحث عدة هى قوائمه التى عليها يرتكز. أول هذه المباحث عالمية الاسلام عند المستشرقين، وثانيها المستشرقون ونظرتهم للقرآن، وثالثها المستشرقون وتناولهم لعلم الحديث وتاريخه، ورابعها السيرة النبوية والتناول الاستشراقى. كل ذلك فى عروض موجزة، مجردة عن الردود التى سنؤخرها إلى فصل لاحق من هذا الكتاب.

المبحث الأول
عالميــــة الإســـــلام

لايخفى على من اطلع على هذه القضية ضمن بحوث ودراسات المستشرقين مدى الاختلاف الواقع بينهم فى أحكامهم وآرائهم فى كون الرسالة الاسلامية عالمية غير مقصورة على العرب وحدهم، أو فى كونها رسالة قومية غير عامة، تخص العرب دون غيرهم. ومن ثم فقد جاءت آراؤهم متباينة بوجهات نظر مختلفة إلى حد التناقض. ويمكننا فى هذا المقام تقسيم المستشرقين من جهة تناولهم لهذه القضية إلى طوائف ثلاث :

1 – الطائفة الأولى: ويمثلها جمهور المستشرقين نراهم ينكرون بجزم وتوكيد أن تكون رسالة الإسلام ودعوته دعوة عالمية خارقة للحدود الإقليمية بتكليفاتها وتشريعاتها الملزمة بالاتباع لمن بلغته؛ ومن ثم فهم يرون أن محمدا صلى الله عليه وسلم، نبى مبعوث للعرب وحدهم، لا إلى غيرهم وأن الرسالة الإسلامية جاءت للأمة العربية فحسب. ومن هؤلاء المستشرقين (وليم موير) الذى يقول : « إن فكرة عموم الرسالة جاءت فيما بعد، وإن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التى تؤيدها لم يفكر فيها محمد نفسه وعلى فرض أنه فكر فيها فقد كان تفكيره تفكيراً غامضًا. فإن عالمه الذى كان يفكر فيه إنما كان بلاد العرب، ... وإن محمداً لم يوجه دعوته منذ بعث إلى أن مات إلا للعرب دون غيرهم »[1]

ويقول المستشرق – كايتانى – : لم يتخط محمد بفكره حدود الجزيرة العربية ليدعوا أمم العالم فى ذلك الوقت إلى هذا الدين.

(1) محمد الزيادى (ظاهرة انتشار الاسلام وموقف بعض المستشرقين منها) ص 39.

ويقول – برولكمان : ولقد بعث محمد إلى العرب قبل كل شيء........... وليس من الميسور أن نقرر على وجه الدقة ما إذا كان نفسه قد استشعر أنه مدعو لمثل هذه الرسالة العالمية.[1]

2 – الطائفة الثانية: هذه الطائفة جاء تناولها لهذه القضية بنظرة هى خلو من شوائب التعصب، وغبش التحامل الذى ما سلمت منه الطائفة الأولى آنفة الذكر ويمثل هذه الطائفة – أى الثانية– المستشرق توماس أرنولد الذى يقول: لم تكن رسالة الاسلام مقصورة على بلاد العرب بل إن للعالم أجمع نصيب فيها ودلل توماس على ذلك بإرسال الكتب لملوك العالم حينذاك عندما بعثها النبى صلى الله عليه وسلم إليهم داعيا إياهم للدخول فى الاسلام كما ثبت فى كتب السيرة.

3 – الطائفة الثالثة: يرى هؤلاء أن عالمية الإسلام من الأمور التى لم يحسم فيها القول ولم يتوصل الباحثون فيها إلى رأى معتمد. ومن هؤلاء المستشرقين النيوزيلاندى «سوندرس» الذى يرى أن هناك آيات قرآنية تفيد أن محمداً عليه السلام قد أراد لدينه أن ينشر إلى الناس كافة كما أن هناك آيات أخرى تفيد بأنه مكلف بتبليغ العرب وحدهم، ونراه هنا يستدل على هذا بقوله تعالى ﴿ لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [2]وقوله ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾[3] ويعلق على هاتين الآيتين بقوله : «إن ما تفيده هاتان الآيتان يدعو إلى التساؤل عن القرآن العربى هل يخاطب به أناسا لا يتكلمون العربية» ؟ [4]

هذه إذا صورة مصغرة تبين وتظهر لنا آراء تلك الثلاث طوائف الممثلة لنظرة المستشرقين عامة إلى هذه القضية المهمة – عالمية الإسلام – وقد سنح جليًا مدى الفاصل بين كل وجهة من وجهات نظر كلٍ.

(1) نفسه، ص 40.
(2) سورة الأنعام ، آية 92 .
(2) سورة القصص ، آية 46 .
(4) نفسه ، ص 33.

المبحث الثانى
(المستشـرقون والقـرآن)

يحتل القرآن المجيد مكانة عظمى فى العالم الاسلامى عامة وبلاد العرب خاصة، فهو عماد العقائد وأسُّها، وركيزة الثقافة الدينية الاسلامية بمختلف مناحيها فضلا عن كونه المرجع الأول للتشريع الاسلامى، فقد تعرض له المستشرقون بالبحث والدراسة بنيات مختلفة، ومقاصد متباينة فكان من ذلك أن أورد كثير منهم عليه دفعات التشكيك، وغيوم من الشبهات، فيما يتعلق بصحته، وقدسية مصدره . ثم حاولوا الطعن فى سلامة جمعة وتدوينه، وغير ذلك مما يتعلق به من مباحث. كل ذلك كان مشفوعا وملحقا بمحاولات نفى إعجازه من جميع أوجه الإعجاز التى هى ثابتة بحقه- والتى لاينكرها إلا مكابر، أو قاصد إضلال، وعموما فقد حاول هؤلاء بكل السبل، وشتى الطرق تلمس ما توهموا أنه من مواطن الضعف فى القرآن، بإيراد الشبهات على محكمه بله متشابهه. كل ذلك فى سبيل معارضته من أساسه، ونقض أحكامه، وإبطال شرائعه .

نعم كان هذا دأب وهمّ كثير من المستشرقين ومازال، ممن صدق عليهم قوله تعالى :-

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾(*)

لكن ليس هذا الوجه هو الممثل الوحيد للظاهرة الاستشراقية فى نظرتها للقرآن، فثم وجه آخر يمثله عدد كبير من المستشرقين الموضوعيين الصادقين فى بحثهم وعملهم فمنهم من درس القرآن المجيد بطرائق علمية سليمة ومتح من معينة وكنوزه، ما يسر الله له، من ذلك ما قام به الكثيرون من تقديم تراجم صادقة دقيقة للقرآن،

(*) سورة الصف الآية 8.

وجمع لمخطوطاته القديمة التى غفل عنها أكثر بحّاث المسلمين، ومن أهم ما قام بإنتاجه المستشرقون فى سبيل تعاملهم البحثى والدراسى للقرآن ما قام به المستشرق الألمانى (فلوجل)، حيث صنف مصنفا لم يسبق إليه فى بابه ألا هو معجم للألفاظ القرآنية، والذى قال فيه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى «خير ما ألف وأكثر استيعابا فى هذا الفن دون منازع ولامعارض هو كتاب (نجوم الفرقان فى أطراف القرآن) لمؤلفه المستشرق فلوجل الألمانى والذى طبع مرة عام 1824 م فقد اعتضدت به، وجعلته أساسا لمعجمى»[1] هذا مثال من عشرات الأمثلة التى تبين مدى الاهتمام الاستشراقى بالقرآن المجيد وعلومه*.

أصل الوحى ونظرة المستشرقين :-

عندما تناول المستشرقون هذه القضية – أصل الوحى – وكتبوا فيها جاءت كتاباتهم حاملة لمذاهب شتّى حاولوا من خلالها تفسير ظاهرة الوحى المنزل على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، لكن أكثرها تشترك فى إنكار كونه وحياً إلاهياً، من مصدر لاهوتى بل وسموه بالصبغة الناسوتية، فأتوا بتفسيرات، وتعليلات وتأويلات حاولوا من خلالها تفسير الحالة التى تنتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إبّان نزول الوحى عليه.

على أن إنكارهم للوحى قادهم مباشرة إلى إنكار المصدر الإلاهى للقرآن الكريم الذى أجمعوا على بشريته، باستثناء من أسلم منهم مثل موريس بوكاى، ومراد هوفمن، وعلى شودكيفتش، وليوبولد فايس.

(فهذا) المفكر الفرنسي جوستاف لوبون (G.Leben) يرى أن التصرفات التى تعترى – الرسول عليه السلام – إبان نزول الوحى عليه، ماهى إلا إصابته بالهوس الذى يباين التعقل. الذى ينتابه فى هذه اللحظات، فيعتريه احتقان، فغطيط، فغثيان[2]. ويذهب الألمانى (هربرت جريم) إلى أن محمداً عليه السلام، لم يكن بداية

---

(1) فؤاد عبد الباقى (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن) دار الجيل. بيروت ودار الحديث ص 11.
(*) الشيخ محمد فؤاد استدرك عليه 28 لفظة أخطأ فى ردها لموادها الأصلية.
(2) حضارة العرب 145.

أمره يبشر بدين جديد وأنه لما أراد الإصلاح وضع خطة للإصلاح الاجتماعى باستخدامه فكرة الحساب والعذاب وغيرها..... أما المستشرق الإنجليزى (منتجمرى وات) فقد رفض جميع الأراء الغربية التى عزت ظاهرة الوحى إلى الصرع والهلوسة والجنون[1] وجاء برأى لايقل ضعفًا عمن سبقه ذلك أنه لما عالج مسألة أصل النبوة، عدها من نتاج الخيال الخلاق الذى كان يتمتع به النبى عليه السلام، لامن مصدر إلاهى، وهذا الخيال الخلاق كما يرى (منتجمرى وات) نفسه، لايتمتع به إلا الرجال المتمتعون بعقليات خارقة (سوبرمان) وبعض علماء النفس يعزونه إلى اللاشعور[2].

ومنهم من ذهب إلى أن الوحى كان قد نزل حال نوم النبى عليه السلام أى أنه منامات، ومن أشهر من تبنى هذه البدعة اللبنانى المتأمرك، فيليب حتى صاحب كتاب (تاريخ العرب المطول)(*) وغيره، فقد ذكر فى كتابه هذا فى معرض حديثة عن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم : « فيما هو نائم يوما فى هذا الغار [غار حراء] سمع صوتا يأمره قائلا، اقرأ باسم ربك الذى خلق... (سورة العلق) فكان هذا أول الوحى وبدء الرسالة.»[3]

وعند جولدزيهر أن أمر النبوة مسألة نفسية من تشبّع الإنسان بحالة خاصة. وهو ينسب القرآن إلى ما استقاه من اتصاله باليهود والنصارى أولا وإلى ما فى داخله من آثار التخلى والتحدث والتأمل، ويذهب ويلز (Wetts) إلى أن محمداً رجل دفعته طموحاته فى كهولته لتأسيس دين ليعده الناس قديسا فألف عقائد خرافية وآداباً سطحية. وهذا النمساوى (لويس) فى كتابه (حياة محمد) يرى الإسلام قد انبثق عن حاجات العصر. وأن محمداً مصاب بالهستريا.

---

(1) ساسى الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، جمعية الدعوة الإسلامية. طرابلس. ليبيا . ط (1) 1991 جـ 1 / 306.

(2) نفسه 2/ ص 354 ، 355.

(*) كتب شوقى أبو خليل تعليقا عليه فى كتاب برأسه سماه (موضوعية فيليب حتى فى كتابه تاريخ العرب المطول) عن دار الفكر 1985 .

(3) شوقى أبو خليل (أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين) منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – طرابلس ليبيا – 1991 ص 87 .

ولعل من نافله القول، أن نذكر أنه ثمة العديد من المستشرقين الذين آمنوا بلاهوتية المصدر بالنسبة للوحى، بله الذين أسلموا، واعتقدوا العقيدة الإسلامية جملة وتفصيلا، ومنهم مثلا – على سبيل المثال لا للحصر المستشرقين (روجيه غارودى) و(إتيان دينيه) صاحب كتاب (أنت فى واد وأنا فى واد) وغيرها ممن هداهم الله إلى سواء الجادة، فسلكوها.

جمع وحفظ القرآن :-

عندما تناول بعض المستشرقين بالبحث قضية جمع وتدوين القرآن الكريم وإمكانية حفظه عن التحريف، حاولوا أن يلقوا بظلمات الشُبه، على هذه الزاوية؛ فى سبيلِ غايته التشكيك فى حفظ القرآن ومن ثم ردّه، ووصمه بالاختلاف. فعلى سبيل المثال نجد ممن حاول توكيد فكرةعدم حفظ القرآن بالتدليل على أنه قد أضيف له من بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم، الكثير من قبل الصحابة، نجد المستشرق الشهير (كازا نوفا) يقول كتابه (محمد ونهاية العالم) كلاما ويورد آراء، يحاول من خلال كل ذلك إثبات أن القرآن الكريم، أضيف إليه الشيء الكثير خصوصا بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم، فرأى الصحابة – كما زعم – طبقا للمشكلات التى واجهتهم أن يضيفوا للقرآن وخصوصا فى الأمور التى استأثر الله بعلمها، كموضوع قيام الساعة حيث لم يتحقق شيء من الأخبار عنها من كونها ستقوم بعد (وفاة النبى عليه السلام) وبعد ما أنهى مهمته. ويستطرد (كازانوفا) فى كتابه آنف الذكر، موضحا وممثلا ببعض الشخصيات التى اتهمها بالتحريف بالزيادة أو الحذف فلا يجد من يذكره متهما بالتحريف إلا الصديق أبوبكر، فيقول – كازا نوفا: هناك آيتان يشك فى صحة نسبتهما إلى الوحى النبوى والراجح أن يكون أبوبكر هو الذى أضافهما على إثر موت النبى فأقره المسلمون على ذلك وهما قول القرآن (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) وقوله (إنك ميت، وإنهم ميتون) كذلك نجد المستشرق المجرى (جولدزيهر) يدلى بدلوه، فى هذا الموضوع وذلك فيما أورده فى كتابه (تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى) ومؤدى كلامه أنه ليس هناك نص موحد للقرآن، وأنه قد حذفت منه آيات كثيرة، وهناك آراء وتصريحات كثيرة نشرها كثير من المستشرقين حول هذه القضية، من أهم تلكم الآراء ماذهب إليه كل من المستشرق (نولدكه) وقرينه

(موير) فى الشك فى ترتيب القرآن على النحو الذى وصل إلينا ومحاولتهما ترتيب الآيات ترتيبا موضوعيا أوأسلوبيا وثمت عدة تهم وشبهات أثيرت فى هذا المقام نذكر منها أشهرها على سبيل التمثيل، فمن ذلك أنه أثناء جمع الصحابة للقرآن سقط منه بعض الشيء، ومنها أن الصحابة حذفوا من القرآن بعض الآيات للمصلحة، كمن زعم أن عليا أسقط آية المتعة، وكان يضرب من يقرؤها. ومنها عدم إثبات عمر لآية الرجم للزانى الشيخ ومنها حصول زيادة ونقصان إبان جمعه والدليل إنكار ابن مسعود للمعوذتين كما زعم أن فى القرآن ماهو من كلام أبى بكر، وكلام عمر[1]

وإلى هذه الشبهات المزعومة أضاف المستشرق الفرنسى - بلا شير صاحب كتاب (مقدمة القرآن) شبهه آخرى حيث زعم أن كتابة وتدوين القرآن لم تتأكد فى آيات العهد المكى[2] ولايخفى ماتحمل هذه الشبهة من مترتبات ومما تخبط فيه بعض المستشرقين فى إطار الدراسات القرآنية محاولات بعضهم توضيح وتفسير بعض الآيات القرآنية كما فعل صاحب كتاب محمد ونهاية العالم كازنوفا (Cazanova).

وهذا (نولدكه) يذكر فى رأى نقضه وعدل عنه فيما بعد، أن فواتح السور ماهى إلا حروف من أسماء بعض الصحابة زادوها على المتن الأصلى[3]

---

(1) ساسى الحاج (الظاهرة الاستشراقية) ج 1، ص 378.

(2) نفسه 1/379.

(3) انظر مباحث فى علوم القرآن، صبحى الصالح، 241، 242.

المبحث الثالث

المستشرقون وعلم الحديث

تمهيد :-

يعد علم الحديث والأثر من أهم وأشرف العلوم التى تنطوى عليها الدراسات الإسلامية، وتأتى أهميته وشرفه من كونه العلم الذى يتناول بالدرس والبحث والتأصيل الأصل الثانى من أصول وعمد الإسلام وهو السنة النبوية المطهرة على صاحبها الصلاة والسلام. ولايخفى على دارسى الدراسات الإسلامية مدى ما حظيت به هذه السنة، ومباحثها، وعلومها، من بحث وتمحيص على مر أعصار الإسلام، سواء من جانب قدماء المصنفين أو محدثيهم ممن تخصصوا فى علم الحديث وأصوله، بله من تناوله عرضا.

لذا فمن غير المتوقع أن نتصور أن لايحظى هذا العلم الشريف باهتمام من نذر نفسه وعمله لبحث ودراسة العلوم، والثقافات الإسلامية، ومن ثم ونظرا لما احتله علم الحديث من مكانة علية على رقعة الدراسات الإسلامية فقد تصدى كثير من المستشرقين لهذا العلم بالدراسة والتمحيص. وشمروا عن سواعدهم فى سبيل غايته درك دقائق هذا العلم، واستكناه خفاياه، وسبر أغواره، وكان من أهم من تعرض لعلم الحديث بالدراسة والبحث المستشرق المجرى جولدزيهر (rehizdIaG) والإنجليزى جيوم (Geom) والمستشرق فينسنك (wensink) الذى كان عضوا فى المجمع اللغوى المصرى والمستشرق (شبرنجر).

وقد تناول هؤلاء فضلا عن غيرهم – علم الحديث بشقيه: علم الرواية، وعلم الدراية، ويعد المستشرقون الذين كتبوا فى علم الحديث وأصوله من أخطر طوائف المستشرقين وأكثرها خطأً ذلك لما تمخضت عنه دراساتهم فى هذا المضمار من شبه

وتمويهات، لايصعب لحظُها على من درس وبحث تاريخ هذا العلم دراسة دقيقة تغلفها الموضوعية، ومن ثم لا يكون الأستاذ صديق نصر مبالغا رغم خطله فى الإطلاق عندما قال:

«والمستشرقون الذين كتبوا فى الحديث الشريف أو تاريخ السنة يسيرون ضمن مخطط خطير يسعى لهدم الإسلام بالتشكيك فى مصدر هو من أهم مصادر التشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم والذى تبين لى أن المستشرقين قد بذروا بذور الشك فى الحديث النبوى الشريف وتعهدوها بالرعاية حتى عثروا على من يتولى أمرها من أبناء المسلمين المستغربين....»(1)

وقد جاءت عملية التناول الاستشراقية للسنة بشكل قضية شائكة، فمن الأجدر بنا أن نقف عليها ونحاول أن نجلى ملامحها (فهؤلاء الناس قد تعرضوا إليها من عدة مناح مختلفة ودرسوها من خلال وجهات نظر لاتتفق وعقائدنا وعالجوها بمناهج لاتؤدى عادة إلى النتائج العلمية المحايدة فى الدراسات الإسلامية، ونظروا إليها بمنظار مادى، لا يتناسب ونظراتنا المثالية للكون والحياة ونقدوها نقدا خارجيا وداخليا ألقى عليها ظلالا من الشك والريبة فى صحتها، ومن هنا كانت خطورة هذه المواضيع وصعوبتها وحساسيتها.)(2)

نقد المتن ونظرة المستشرقين:

إن من أشهر ما أثير من شبه فى هذا المجال تلكُمُ الشبهة التى تبناها كثير من المستشرقين، ودندنوا حولها طويلاً. والتى مفادها أن اهتمام علماء المسلمين على صعيد النقد والتحقيق كان منصبا بشكل كلى على نقد الإسناد فقط وأنهم أهملوا نقد المتن(*)

(1) صديق نصر (ضوابط الراوية عند المحدثين) منشورات كلية الدعوة الاسلامية طرابلس ليبيا، 1992 ط 1 ص 14.

(2) ساسى الحاج (الظاهرة الاستشراقية وأثرها) 2/ ص 466.

(*) يقصد بالاسناد : سلسلة الرواة الموصلة للحديث، وبالمتن : ألفاظ الحديث التى تتقوم بها معانيه.

ويعد «جولدزيهر» من أشهر من تولى كبر هذه الشبهة وذلك ضمن ما سطره فى كتابه الشهير (دراسات محمدية) فبعد أن تعرض وبين تقسيم الحديث إلى سند ومتن ذكر (أن اختيار مصطلح المتن لوصف نص حديث ما يتعارض مع توثيقه من خلال سلسلة الرواة، بمعنى أن ذلك لايستلزم نقد السند بقدر ما يستلزم نقد المتن، ويمكن أن يعد هذا دحضًا لما يفترضه المسلمون (ومازال الكلام لجولدزيهر) من أن الحديث لم يدون فى بدايته وأنما نقل على هيئته روايات شفوية فقط.

ويوضح جولدزيهر... أن وضع الأحاديث المدلسة ألف خطرا كبيرا بحيث شمل جميع ميادين السنة سواء ما تعلق منها بالعبادات أو المعاملات ومن هنا استلزم كما يقول من أولئك الذين يسعون إلى صحة الحديث فحص حالة الراوى؛ فاشترطوا عدالة الراوى وتقواه، وأمانته وبذلك فقد اهتموا بسند الحديث أكثر من اهتمامهم بمتنه ومحتواه، ومن هنا جاءت تسمية الاسناد بقوائم الحديث وبقيد الحديث وأصبح صحة سلسلة الرواة (هى) المعيار الحقيقى لصحة الحديث[1].

وقال جولدزيهر فى موضع آخر مبينا ذات الفكرة : «مادامت سلسلة الاسناد متصلة غير منقطعة وأن الرواة جديرون بالثقة والصدق، فالحديث صحيح ولا يجروا أحد على القول أن الاستاذ غير صحيح، حتى وأن احتوى المتن على أمور منافية للمنطق والتاريخ»[2].

وممن تبنى هذا الرأى المستشرق الألمانى شاخت صاحب كتاب (أصول الفقه الاسلامى)، واحد محررى دائرة المعارف الإسلامية، حيث يقول فى مادة أصول فى الموسوعة «.. ومن المهم أن نلاحظ أنهم- أى المسلمين أهل الحديث أخفوا نقدهم لمادة الحديث (أى متنه) وراء نقدهم للإسناد فيه......... ويذهب المستشرق (جوينبول) فى مقاله المنشور فى دائرة المعارف الإسلامية المترجمة تحت مادة «حديث» إلى نفس رأى جولدزيهر وشاخت... وسلك المنهج ذاته المستشرق روبنسون فى الموسوعة ذاتها[3] (*)

(1) ساسى الحاج (الظاهرة الاستشراقية وأثرها...) 2 /585.
(2) المرجع السابق 2/601.
(3) المرجع السابق 2/601.
(*) وقد مال إلى هذا الرأى أحمد أمين فى ضحاه، ومحمود أبوريه فى كتابه «أضواء على السنة المحمدية» وغيرهما كثير.

وغير خاف أن مسند هذا الرأى ما نجده عند بعض أهل الحديث غير الفقهاء من اعتماد كلى على الأسانيد لاسيما المتأخرين منهم، لكن هذا الموقف ليس ظاهرة عامة ولايصح إسناده وعزوه لعلماء المسلمين بإطلاق.

تدوين الحديث :-

من الجدير بالذكر فى صدر كلا منا عن آراء المستشرقين فى قضية تدوين الحديث الشريف، أن نذكر أن كثيرا منهم – عند الكلام عن التدوين على الصعيد العام- قد انكر وجود مدونات للأدب العربى قبل الإسلام فى أى مجال شعرا ونثراً .

أما فيما يتعلق بموضوح كلامنا أى موقف المستشرقين وآرائهم فى قضية تدوين الحديث، فقد تجشم كثير ممن تصدى للبحث فى هذه الزاوية، جمع الأدلة والبراهين على إثبات تأخرعملية تدوين السنة ومن هؤلاء المستشرقين المجرى (جولدزيهر) الذى عقد فصلاخاصا لكتابه الحديث فى كتابه دراسات محمدية التى ترجم المجلد الثانى منها إلى الفرنسية وفى هذا الفصل (250 - 241 p) أتى بأدلة كثيرة على تدوين الحديث فى أوائل القرن الهجرى الثانى، وكان فى الفصل الأول من الكتاب نفسه (12 - 10 p) قد سرد طائفة من الأخبار تشير إلى بعض الصحف التى دونت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه أحاطها (أى جولدزيهر) بكثير من التشكيك[1] وقد بنى تشكيكه هذا على أساس اتخذه تكأة لفكرته هذه ومفاده أن تلك الصحف لم يعد لها وجود الآن.

وقد تبنى هذا الرأى المستشرق (شبرنجر) فى كتابه الموسوم ب (الحديث عن العرب) ونجد (موريس بوكاى) يرى أنها لم تكتب إلا بعد انقضاء مدة الزمن على وفاة النبى[2]. فينفى جازما أن تكون قد دونت ولو فى بعض الصحف فى عهد النبى عليه السلام وصحابته الأول. وهذا وأن لم يأت تصريحا عند الكثيرين فإنه حكم شاع عند كثيرين من ذلك على سبيل المثال ما قاله بلند الحيدرى الشاعر والناقد العراقى

---

(1) صبحى الصالح (علوم الحديث ومصطلحة) بيروت لبنان، دار العلم للملايين 1988. ص 33.

(2) نخبة من الدارسين (الدين فى المجتمع العربى) بيروت لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية والجمعية العربية لعلم الاجتماع 1990 ط (1) ص 545.

«إن تدوين الأحاديث لم يجر إلا بعد وفاة النبى محمد بثلاثة قرون[1] ولم يتعب نفسه في التدليل على هذا لانه لن يتمكن منه فاكتفى بالحكم العارى.

أحاديث النهى عن التدوين والأمر به كما رآها المستشرقون :-

من المعلوم لدارسى تاريخ تدوين الحديث أنه قد وردت آثار وأحاديث تحمل أحكاماً فيما يتعلق بتدوين وكتابة الحديث النبوى، منها آثار تنهى عن الكتابة والتدوين جزماً. وأخرى تأمر وتصرح بجواز الكتابة، وكما هو معلوم عند من درس علم أصول الفقه أنه إذا ما وردت آثار كهذه متعارضة فيلجأ لوسائل التوفيق بينها(*) ولايتم اللجوء إلى رد بعضها بدعوى التناقض مباشرة وهذا ما قام به بعض المستشرقين فصدق عليهم قول الشاعر: (أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الأبل) وكان حقا عليهم إذ لم يعلموا بطرائق التوفيق بين تلك الآثار المتعارضة أن يعملوا بقول من قال: أعط القوس لباريها. ولكنهم وللأسف تخبطوا فى هذه المسألة على غير هدى من منهج قويم ، أو منطق سليم ولاحتى نقل صحيح.

فتراهم ثَم يزعمون أن الأحاديث الواردة فى شأن تدوين العلم حثًا عليه أو نهياً عنه، أنها كانت أثرا من آثار تسابق أهل الحديث من جانب وأهل الرأى من جانب آخر إلى وضع الأقوال المؤيدة لنزعتيهما المتباينتين، فأهل الحديث ينزعون – حسب زعم الزاعم إلى تقييد السنة لتكون مستندا بين أيديهم لصحتها والاحتجاج بها. وأهل الرأى على العكس ينزعون إلى النهى عن الكتابة، وإثبات عدم تقييد العلم تمهيدا لإنكار صحته وإنكار الاحتجاج به. وقد تولى كبرهذا الرأى وتوكيده، جولدزيهر[2] وقد تابعه فى هذا (الرأى) الباحثة «روث مكنسون»[3] ولعل هذه أخطر شبهة وجهت فى سبيل بحث قضية الاختلاف فى تدوين الحديث.

---

(1) مجلة العربى (الاسلام وتحريم التصوير) ع، 450 – سنة 1996.

(*) وهى بالترتيب / 1 عملية الجمع والتوفيق 2 عملية الترجيح 3 عملية النسخ إن علم التاريخ ومن هذه الآثار قوله صلى الله عليه «من كتب عني شيئا فليمحه»، وقوله فيما روى مرفوعا وموقوفًا «قيدوا العلم بالكتاب». وإذنه لمن استأذنه فى كتابة الوحى وهو عبد الله عمرو بن العاص (اكتب والذى نفسى بيده ما خرج منى إلا حق).

(2) صبحى الصالح – علوم الحديث ومصطلحه ص 34.

(3) علوم الحديث ومصطحه ص 36.

شبهة تأخر الاهتمام بالأسانيد واختلاقها :-

هذه شبهة أخرى ومقولة جديدة مفادها أن الاهتمام بالأسانيد، وسلاسل الرجال الناقلين للأحاديث جاء متأخراً، ولم يكن للاهتمام بالإسناد فى بداية عصر الإسلام أهمية ولاوزن وهذا ما يقرره (جولدزيهر) الذى يرى أن «الاهتمام بالإسناد لم يكن له تلك المكانة السامية فى نقد الاحاديث فى العصر الاسلامى الأول، وكان الاهتمام بالرجال قليلا (ثم يقول) حتى إن الإمام مالكاً كان يهتم بفائدة التطبيق العملى للحديث أكثر من اهتمامه بسلسلة الرواة، وأنه قبل ونقل دون تحرج تلك الأحاديث المروية عن المغنىّ الغزلى (عروة ابن أذينه) وربما فعل ذلك (والكلام جولدزيهر) لتعاطفه مع مهنة الغناء التى زاولها (أى مالك) فى شبابه المبكر، ولكن عندما وقعت الفتن وذاعت الأحاديث الموضوعة بكثرة اهتم الفقهاء بسلسلة الرواة وأصبح الحديث الصحيح معتمدا على صحة سلسلة الرواة»[1].

هذا رأى (جولدزيهر) الذى قد نعتبره معتدلا بعض الشىء إذا ما قارناه بما ذهب إليه غيره من زمرة المستشرقين، ومن ذلك ماذهب إليه المستشرق الإيطالى (كايتانى) صاحب الحوليات من أن القسم الأعظم من الأسانيد اختلقه المحدّثون فى فترة متأخرة، يحددها (كايتانى) بنهاية القرن 2 هـ وربما 3هـ ورأى المستشرق الألمانى (شاخت) : أن الاسانيد المتصلة متأخرة وضعها أصحاب المذاهب الفقهية، رغبة فى إرجاع آرائهم إلى الصحابة، ومن ثم فإن تحسين الأسانيد، استمر حتى عصر الكتابة حيث ظهرت الأسانيد بصورتها الكاملة، وقد استشهد شاخت بأسانيد وردت مرسلة أو منقطعة فى موطأ مالك أو فى كتاب الرسالة للشافعى، ثم وردت فى الكتب السنة المتأخرة عن مالك، متصلة مسندة، فيما يدل عنده على أن الأقسام العليا من الأسانيد وضعت فيما بعد من قِبل أرباب المذاهب[2] وفهم من ذلك أن هذه الاسانيد التى صارت متصلة بعد انقطاعها، زيدت، برجال حشروا فى سلسلة الإسناد، تدليسا وتمويها، من جانب متأخرى الفقهاء، وظاهر أن مرد هذا الاستنتاج آنف الذكر، قلة الاطلاع على فن الحديث ومصطلحه، وعدم الاطلاع على علوم السنة بعامة.

---

(1) الظاهرة الاستشراقية ... 2/ 589

(2) الظاهرة الاستشراقية ...2 / 596.

المبحث الرابع
المستشــرقون والســيرة

تمهيد

كانت السيرة النبوية من أوسع الحقول التى خاض خلالها المستشرقون وقد كانت مناهج البحث التى اعتمدوها فى بحث السيرة مختلفة غير موحدة، ومن ثم جاءت نتائجهم التى حصدوها من هذا الحقل الشريف متباينة إلى حد التعارض الكلى متضاربة إلى حد بعيد جداً. من ذلك أنهم عندما تصدوا لبحث ودراسة شخصية النبى صلى الله عليه وسلم جاؤوا بآراء وأقوال تثير العجب، ومثال ذلك ماقرره حفنة منهم عندما آرتابوا فى وجود شخصيته عليه السلام وعدوه شخصية خيالية لا وجود لها فى أرض الواقع ومن هؤلاء المستشرق الروسى «تولستوف» وبهذا فقد خالف جمهرة المستشرقين الذين اقروا بوجوده عليه السلام.

وبعضهم أنكر رسالته، وبعضهم أقرها وبعضهم أخذ يكيل التهم المشفوعة بالسباب البذىء السافر، وبعضهم قدم سبابه وتهمه فى مغلفات. ومنهم من اطرح التعصب والحقد وأخذ بناصية البحث العلمى السليم تحت نور الموضوعية، فجاءت أبحاثهم موافقة للحقائق التاريخية الثابتة.

ومن أشهر من كتب فى هذا المجال المستشرق المجرى (جولدزيهر) والمستشرق (بيكر) أحد محررى دائرة المعارف الإسلامية. والمستشرق (هرجرونيه) وغيرهم كثير لايتسع المقام لعدهم.

وسنعرض – بإذن الله – لأهم ما ورد عنهم من آراء وأقوال تتعلق بالسيرة النبوية وشخص النبى صلى الله عليه وسلم، وبعض ماقيل عن بعض الصحابة أما فيما يتعلق بمنهجية البحث فى السيرة عند المستشرقين نلحظ أن معالجة المستشرقين –

أغلبهم – للسيرة قبل البعثة باتباعهم لمنهج الشك وذلك بتشكيكهم فى كثير من دقائق وتفاصيل السيرة رغم ثبوتها تاريخيًا. كما حاول كثير منهم رد معطيات السيرة إلى أصول يهودية أحياناً. ونصرانية أحياناً أخرى كما أن كثيراً منهم بنى بحوثه ودراساته على أساس من الآثار غير الثابتة، والروايات الضعيفة غير الموثقة، التى لانجد لها أصولاً فى كتب السيرة المعتمدة ولا فى الموارد الأخرى ومن ذلك ما أورده المستشرق «ماكسيم رودنسون» فى بحثه (حياة النبى والمشكلة الاجتماعية لأصول الإسلام)(*) عندما أورد مقالة لفولتير ذكر فيها رسالة زعم أنها من إنشاء النبى – صلى الله عليه وسلم – والحق أن لا أصل لها حتى إنه – أى روبنسون – عندما سئل عن مصدرها المعتمد لم يحر جوابا.

وغير هذا كثير وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على عدم موثوقية جل ما إعتمد من مصادر فى التناول الاستشراقى للسيرة بالذات؛ وبالتالى عدم اعتماد ما توصّل إليه من نتائج وأحكام، فكل مابنى على خواء فمآله إلى السقوط وما بنى على باطل فهو – كما يقال – باطل.

تدوين السيرة وجمعها :-

لم يتفق المستشرقون فيما يتعلق بقضية جمع السيرة وبدايته – على قول واحد يمثل وجهة نظرهم بعامة فتحديد الرواة الأول للسيرة النبوية يعد مسألة خلافية قد ترجع فى بعض أسبابها إلى خطأ اعتبارهم مجرد رواة للأخبار فيما مثلوا مصادرها بالنظر إلى معايشتهم معظم الأحداث ومعاينتهم لها، إن (مر غليوث) – مثلاً –يرى أن محمدا بن إسحق (85 –151هـ) هو أول من جمع مغازى النبى (وبر ولكمان) يشير إلى أن موسى بن عقبة (67 – 141هـ) هو أول من جمعها وهناك مثل (هورفتس) من يرى أنه وهب بن منبه (41 – 110هـ)[1] إلى غير ذلك من الأقوال والاختلافات التى لايمكن أن نخرج من خلالها بصورة موحدة تعتمد لتوضيح رأى

(*) انظر مجلة (الفكر العربى) معهد الإنماء العربى – بيروت لبنان 1983م عدد 32 السنة الخامسة.

(1) نخبة من الباحثين (الدين فى المجتمع العربى)، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – والجمعية العربية لعلم الاجتماع 1990 ط 1 ، ص 542.

موحد يمكن عزوه للنظرة الاستشراقية ولا تكون بمجموعها وحدة ثقافية والظاهر أن النمط الذى اتبع فى تأليف هذه الكتب والمجموعات الإخبارية كان يقوم على جمع وتنضيد الأحاديث المتصلة بحياة النبى وحروبه وغزواته لا أكثر وهذا مما يدخل باب التأريخ. وجدير بالإشارة أن القصص قد اتخذت مجالس للسرد قبل ذلك كله فقد روى ابن شهاب أن أول من قص فى مسجد النبى تميم بن أوس بإذن من عمر آخر ولايته بعد تمنع وكذا مع عثمان(1).

سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وحياته :-

عندما تناول المستشرقون بالبحث مولد النبى صلى الله عليه وسلم كانت النقطة التى حازت شبه إجماع من جانبهم، هى أنه قد ولد حقا رجل اسمه محمد بن عبد الله، وأن لا مرآء فى وجوده على صعيد الواقع قد يظن القارئ، أن هذا أمر بدهى من المسلمات التى لامجال للاختلاف فيها ولا حاجة لتقريره وذكره فى هذا المقام، فمن ذا الذى لا يصدق بوجود نبى الإسلام، محمد عليه السلام ؟ لكن الأمر بخلاف هذا، فى عالم المستشرقين البحثى، ذلك أنه قد ظهر بين ظهرانيهم «حفنة منهم ارتابوا فى وجوده وعدُّوه شخصية أسطورية وعلى رأس هؤلاء المستشرق الروسى (تولستوف) الذى تجاوز فى دراساته كل الحدود، وأكد أن الإسلام قد نشأ من أسطورة مستمدة من اعتقادات سابقة»(2).

سنة ميلاده عليه الصلاة والسلام :

أما فيما يتعلق بالسنة التى شهدت مولد النبى عليه السلام فلم تتباين آراؤهم- ونتائج أبحاثهم، مع ماقرره علماء المسلمين المختصين بتاريخ السيرة، الّذون لم يتفقوا بدورهم على سنة محدودة يمكن الجزم بكونها سنة ميلاده عليه السلام.

وقد اختلف المستشرقون، كذلك فى تحديد سنة الميلاد فمنهم من يرى أنها مجهولة نهائيا فهذا المستشرق الشهير (مكسيم رودنسون) يجزم بأن أحداً لا يمكنه تحديد سنة الميلاد، ويضيف قائلا إنه عليه السلام لم يولد عام الفيل كما هو شائع وفى

---

(1) انظر فجر الاسلام / احمد امين ص 158 نشر دار الكتاب العربى بيروت ط 11 1975K.
(2) الظاهرة الاستشراقية...، 2/59.

ذات السياق نجد (منتجمرى) يصرح بشكه فى أن النبى صلى الله عليه وسلم، قد ولد عام الفيل ، خلافا لرأى الجمهور.

وهناك من يعتقد ويقرر أن ولادته عليه السلام كانت معاصرة للفترة الذى حكم فيها «خسروأنوشروان» وبالتحديد سنة (579) ميلادية، ويشك (وات) فى كونه عليه السلام قد ولد بعد وفاة أبيه عبد الله[1].

هكذا ومن خلال هذه العينة الممثلة لآراء المستشرقين فى هذه القضية، لانجد اتفاقا على رأى محدد يمكن اعتماده، صورة لرأى المستشرقين، ثابتة، وهذه الحال كما لا يخفى مطردة فى أغلب ما تصدوا له من مباحث وقضايا إسلامية بعامة، لا سيما فى مضمار السيرة.

حياته قبل البعثة صلى الله عليه وسلم :-

اتخذت آراء ودراسات المستشرقين، فيما يخص حياة النبى صلى الله عليه وسلم، قبل البعثة، طابع الريبة ومنهج الشك لاسيما فيما يتعلق بدقائق حياته عليه السلام وتفاصيلها.

وباستقراء ماسطروه فى هذا السياق، يخرج القارئ بنتيجة مفادها، أن تناولهم لمبحث السيرة النبوية لم يأت متسماً بالموضوعية والصدق على صعيدى النقل والتقرير جميعاً، فبحوث أغلب المستشرقين الذين كتبوا فى هذا المضمار، جاءت إما محملة بالادعاءات غير المعضّدة بما يسندها من دليل أو برهان، أو بالتشكيكات المبنية غير أساس؛ ومن ثم فلم تكن أغلب بحوث المستشرقين هنا ذات قيمة بالمعيار العلمى.

فبعض المستشرقين يورد على الفترة التى سبقت البعثة من حياة محمد صلى الله عليه وسلم، ادعاءات لا تتفق مع الحقائق التاريخية الثابتة، ولا مع ما وصلنا وتواتر لدنيا من أحداث اتخذت لها طريقا اتسم بدقة التمحيص والتحقيق، حتى وصلتنا وصارت عندنا ثابتة، لاريب فيها ولا مندوحة للمراء فى مصداقيتها وثبوتها.

---

(1) نفسه 2/ 60.

فنجد على سبيل المثال بعض المستشرقين يقول عن النبى صلى الله عليه وسلم، فيما يتعلق بحياته قبل البعثة «إنه كان ردئ السمعة وإنه كان مريضاً وإنه كان قليل الشأن فى قومه، وإنه تلقى دينه من الرهبان النصارى كبحيرى الراهب وغيره، وإن زواجه من خديجة كان من أجل المال، وإنه بعد أن أصبح غنياً، أخذ يضع خططة المستقبلية للوصول إلى السلطة..»[1] ويبعد النجعة (وات) حين نجده يتبع المنهج نفسه فيقوم ويشكك فى الوقائع والحوادث التى سبقت بعثته عليه السلام، ولا يسلم بها من جهة الثبوت، وذكر حياته صلى الله عليه وسلم زمنئذ واصفا اياها بالتعاسة لتوالى المصائب عليه بوفاة جده ومن قبله أمه[2] ولم يختلف منهج (رودنسون) عن (وات) فى هذا السياق عندما نجده – أى (رودنسون) يرتاب فى قصة سفره مع عمه والتقائه بحيرى– الذى علم أنه نبّى.......... وبين – أى رودنسون – صعوبة معرفة أحداث طفولته وشبابه المبكر، وشكك فى رواياتها»[3].

وعندما تكلم المستشرق (بيكر) عن حياة النبى عليه السلام قبل بعثة، لم يشتطّ فى الارتياب كأقرانه المستشرقين، ممن مثلنا بأقوالهم، وغيرهم الذين أدلوا بدلائهم فى هذه النقطة بالذات (فبيكر)، يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته كان «غريبا عن المجتمع العربى الذى تسود فيه الوثنية، فهو لم تربطه به علاقات وطيدة قبل بعثته، بل إن جميع الظواهر تنبئ عن اشمئزازه منها ومن عاداتها وأصنامها»[4].

ما بعد البعثة:

باستعراض ماتسير من آراء المستشرقين فى عمر النبى صلى الله عليه وسلم، إبان البعثة، ووقت نزول الوحى عليه، لم يبلغنا خلاف بينهم فى تحديد عمره صلى الله عليه وسلم آنذاك، كما انهم لم يختلفوا، اختلاف تضاد فى الطريقة التى نزل بها الوحى ولا فى المكان الذى شهد أول الوحى وباكورة نزوله إلا هو غار حراء.

---

(1) الظاهرة الاستشراقية... 2/61.
(2) نفسه 2/61.
(3) نفسه 2/103.
(4) نفسه 2/19

ولم يأت المستشرقون فى تناولهم وكتاباتهم عن فترة ما بعد البعثة النبوية، بآراء ذات أهمية . بتعبير آخر لم يأتوا بجديد يذكر، من شأنه أن يزيد على ما جاء به من كتب فى السيرة النبوية من أهل الإسلام، ومن سجلٍ ودون المغازى، ونجد مما ورد فى كتابات بعض المستشرقين فى هذه الفترة – مما سبقوا إليه – ماتبناه بعضهم فى سياق الكتابة عن العهد المكى للإسلام، الذى هو عهد الاضطهاد القرشى للنبى صلى الله عليه وسلم وصحبه فى أول طريق نشر الدعوة الإسلامية، نجد أن بعضهم قد تبنى فريه شهيرة أثيرت منذ عهود غابر(*) . وتم الرد عليها وتفيدها من قديم ومازال بعض أهل العلم يكتبون حديثا فى سياقات تفنيدها وردها، ونعنى بها قصة الآيات الشيطانية أو قصة الغرانيق الشهيرة، والتى زعم من قال بها، أن النبى صلى الله عليه وسلم، قد أزجى للقرآن الكريم بعض الكلمات التى ساقها الشيطان فى مجلس منعقدٍ لبعض سادة وكبراء قريش الألى جِلسوا يستمعون القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم فقيل إن الشيطان قد ألقاها فى روعه فتكلم بها دون قصد، وهى قولهم.... تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى.

أورد بعض المستشرقين هذه القصة باعتبار أن إثباتها، يعد مرتكزا من شأنه الفتُّ فى صرح الإسلام وهى إحدى الأدلة التى أزجاها البعض للتشكيك فى هذا الدين، ولسلبه الشرعية الإلهية.

الهجرة إلى الحبشة :

لم يتّفق المستشرقون فى هذه القضية على رأى واحد معين، بل اختلفوا فى موضوع الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة اختلافا بينا جليا من قبيل اختلاف التضاد.

فهذا (موير) فى كتاباته على هذا الموضوع نجده قد عالج.. «الهجرة إلى الحبشة» باختصار شديد وأرجع أسباب هذه الهجرة إلى ما لاقاه أصحاب رسول الله عليه السلام من عنت واضطهاد[1] .

(*) العهد الغابر، يأتى فى العربية بمعنى العهد القديم وبمعنى العهد القادم مستقبلا.
(1) ساسى الحاج (الظاهرة الاستشراقية...) 2/145.

وهو فى هذا لا يخالف ماقرره أهل السيرة من المسلمين الذين اتفق معهم فى هذه النقطة ولم يخالفهم فى هذه الزاوية من مبحث السيرة.

أما (مونتجمرى وات) فعند تناوله لهذه المسألة نجده لايبارح منهجه التشكيكى، فهو يشك «ى تاريخ حصولها واستند إلى (بعض) تحاليل (كايتانى) فى حولياته .. الذى ينفى حصول الهجرتين إلى الحبشة»[1]

بعد الهجرة إلى المدينة :-

تعرض المستشرقون الّذون كتبوا فى السيرة إلى فترة مابعد الهجرة الكبرى إلى يثرب وامتازت كتاباتهم عن هذه الفترة من تاريخ الإسلام بقلة الشبهات وامتازت كذلك ببعض التحليلات العلمية التى عملها بعضهم؛ لأنهم يسردون فيها أنشطة الرسول عليه الصلاة والسلام التى اتسمت بالدقة والحكمة فى سبيل بناء صرح الدولة الإسلامية من جهة، وفيما يتعلق بالمنازعات التى كانت تعرض فى تلك الحقبة من تاريخ الإسلام من جانب العرب المشركين واليهود من جهة أخرى[2]

لكننا لانعدم أصوتا تعالت بالادعاءات المشفوعة بالسباب السافر، كتبها بعضهم فى كتبهم وسطروها فى دراستهم، ومن ذلك ما كتبه (لامانس) و(ساوثرن) و(غلوور) وأضرابهم ويعد ما دونه قدماء المستشرقين، أكثر بعدا عن الموضوعية مما كتبه محدوثوهم فى تقييم عام.

ومن أمثلة ما كتب من جانبهم، فى تصوير بعض معالم البناء والتشييد والتأصل الذى كان يقوم به النبى صلى الله عليه وسلم بتكوينه للقوة العسكرية الإسلامية وبداية الفتوح الإسلامية ما كتبه (ساو ثرن) southern الذى صور النبى عليه السلام على أنه «ساحر، حطم الكنيسة فى الشرق وفى أفريقيا، وأباح الاتصالات الجنسية .... »[3]

---

(1) نفسه : 2/145.
(2) المرجع السابق : 2/179.
(3) مصطفى المسلاتى – الاستشراق السياسى... – ص 35.

وهذا (كولى) ، يقول فى كتابه (البحث عن الدين الحق) : «لقد وضع محمد السيف فى أيدى الذين تبعوه، وتساهل فى أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون فى القتال بالاستماع الدائم بالملذات فى الجنة.. وهذا الدكتور (غلو ور) يقول فى كتابه (تقدم التبشير العالمى): كان محمد حاكما مطلقا، وكان يعتقد أن حق الملك على الشعب أن يتبع هواه ويعمل ما شاء، وكان مجبولا على هذه الفكرة فقد كان عازما على أن يقطع عنق كل من لا يوافقه فى هواه أما جيشهم العربى فكان يتعطش إلى التهديد والتغلب، وقد أرشدهم رسولهم إلى أن يقتلوا كل من يرفض اتباعهم ويبعدهم عن طريقهم)(1).

نظرة المستشرقين لشخصية النبى صلى الله عليه وسلم :

تتراوح كتابات المستشرقين عن نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ،ما بين التركيز على الجدل الدينى أو السير الإخبارية، أو الدراسات التاريخية الأكاديمية، وهو مايتبدّى منذ المحاولة الأولى التى قدمها (بيبرلوفتيرابل)، فى القرن الثانى عشر الميلادى و(رامون لول) فى القرن الثالث عشر، (دانتى اليجيرى) و(ريكولد) و(ركروش)، و(سيمونسيمونس) فى القرن الرابع عشر(2)، وصولا إلى (ماكسيم رودنسون)، و(الفريدغيوم) و(ما سنيون) فى القرن العشرين. كذلك (روم لاندو)، و (فريتجوف شيون).

وقد جاء تناول المستشرقين لشخصية النبى محمد صلى الله عليه وسلم وبحثهم لها، ضمن إطار البحوث التى اجترحوها فى مجال السيرة النبوية أو دراستهم العامة لمباحث الإسلام على هيئة غير موحدة ولاثابتة، فلا تضم آراء محددة من الممكن عزوها للمستشرقين بعامة، ممثلة لوجهة نظر الدراسات الاستشراقية جمعاء. فالناظر فيما سطره المستشرقون الألى تناولوا شخصية النبى عليه السلام يلحظ بجلاء مدى التباين الجلى والاختلاف الظاهر، الذى اتخذته الدراسات الاستشراقية، صفة لها، وميزه وسمتها، ومن ثم يمكننا فى هذا المقام أن نقسم المستشرقين الذين كتبوا فى هذه الزاوية، فريقين متباينين على صعيد التناول والنتائج جمعيا:

---

(1) ساسى الحاج (الظاهرة الإستشراقية...) 2/11.
(2) (الدين والمجتمع العربى) ص 547.

الفريق الأول :

درس شخصية النبى صلى الله عليه وسلم، بتدقيق وتمحيص خلا من شوائب التعصب والحقد، مستنيرا فى سبيل بحثه بنور الموضوعية، مستضيئا بضياء الصدق العلمى، حيث اعتمدوا فى نهج بحثهم فى هذا الموضوع – أى شخصية النبى عليه السلام – على ماهو بحق مظنة لاستقاء ما من شأنه توضيح معالم البحث وتقديم النتائج التى من أجلها درست هذه الشخصية العظيمة، فاعتمدوا فى هذا السبيل على الأحداث الثابتة تاريخيا، والروايات المسندة والأقوال المحققة، فجاءت نتائج بحوثهم، مرضية لطالب ومريد المعرفة؛ لتزيبها بمسوح الصدق والموضوعية، من ذلك ما كتبه ماسينيون وروم لاندو.

الفريق الثانى

وقف على طرف النقيض، وذلك أن تناوله لشخصية النبى صلى الله عليه وسلم، انبنى أصله على قواعد لايمكن لها طبقا للمعايير العلمية، أن يقام عليها بحث من شأنه التمخض عن نتائج تكون بدورها صالحة، ومؤهلة لأن تلقى إلى جمهور القراء الطالبين للمعرفة، ولا إلى النقاد، من باب أولى ذلك أن تلكم النتائج التى خرج هؤلاء المستشرقون الممثلون للفريق الثانى حسب تقسيمنا – لم تنتج عن حس واع بأهمية الصدق العلمى والأمانة البحثية، بل كان الغرض المرام، والوطر المرجو من وراء كتاباتهم التى سطروها، وبحوثهم التى دونوها، محض التمويه والتدليس العلمى، المشفوع بروح الحقد والتعصب الأيديولوجى والعرقى جميعاً. وهذا التوجه يؤكد (مونتجمرى وات) عدم استقامته ويصفه بأنه نظرة أوربية سيئة ترى أن محمداً قد دعا عمدا إلى أفكار لا يؤمن بها فى محاولة لكسب قوة سياسية ولإشباع غرائز وشهوات[1]

ويمكننا الآن وتوضيحاً للإجمال السابق، أن نعرض أمثله للصورة المزدوجة للتناول الاستشراقى للشخصية النبوية الكريمة.

---

(1) انظر كتابه (ماهو الاسلام) ترجمة الفصل الأول المنشورة بمجلة كلية الدعوة الاسلامية بترجمة محمد الزيادى العدد 9، ص 634.

فنجد ممن يمثل وينضوى تحت جناح الفريق الأول المستشرق الفرنسى الكبير (ما سينيون) الذى يرى النبى صلى الله عليه وسلم، نبيا صادقا، اضطر بعد هجرته إلى تحقيق هدفه الأساسى، المتمثل فى نشر دعوته الإسلامية فى الآفاق فهو - حسب ما سينيون - نبى حقيقى لأنه لا يعطى لنفسه موضعا أكثر مما وضعه الله فيه.......... ولأنه رفض بشدة أن يمنح صكوك الغفران، ولأنه كان يشاور أصحابة فى كل الأمور، ولا يقطع رأيا بدونهم، وليس له أية ادعاءات أخرى سوى مهمته النبوية.

أما معرفة حياة الرسول الباطنية فإن (ماسينيون) يعترف باستحالة الولوج لاستجلاء كنهها لنقص الوثائق (عنده).. خلافا لحياته الخارجية المتميزة بالإرادة القوية، والاعتدال، والحذر، والصبر، واللطف والكياسة[1]

كذلك يقول ماسنيون إن حياة النبى العامة شاهدةٌ على إرادة صلبة، وضبط للنفس، واعتدال وفطنة، ورحمة ولطف وصبر وتدبر.[2]

وهذا المستشرق (فريتجوف شيون) يقول: «وحين نطلع على حياة محمد من خلال المصادر التقليدية، تبرز لنا ثلاثة عناصر يمكن أن نحددها مؤقتا بالكلمات التالية :

التقوى، وروح النضال، وسمو النفس،........ وإنه من الأهمية بمكانٍ إثبات أن الرسالة المحمدية لم تكن وليدة عبقرية محمد الإنسان - وهى عبقرية لم يرتب فيها قط - وإنما هى أساسا وليدة الخيار الإلهى.... والاقتداء بالنبى معناه تحقيق التوازن بين نزعاتنا الطبيعية، أو بتعبير أدق بين فضائلنا المتم بعضها بعضاً»[3].

ويقول المستشرق (غروسه) صاحب كتاب (مدنيات الشرق) واصفا النبى محمد صلى الله عليه وسلم، ومزكيا إياه: (كان محمد.. شابا كريما نجدا ملآن حماسة لكل قضية شريفة، وكان أرفع جدا من الوسط الذى يعيش فيه)[4].

---

(1) الظاهرة الاستشراقية... 2/22.

(2) نقلا عن (الفردبل) الفرق الاسلامية فى الشمال لافريقى ص 368.

(3) فريتجوف شيون (كيف نفهم الاسلام) ترجمة: عفيف دمشقية - دار الآداب بيروت، ودار الغد للطباعة والنشر 1978 ط 1 ص 102.

(4) لوثروب ستوارد (حاضر العالم الاسلامى) ترجمة : عجاج نويهض، دار الفكر- بيروت 1972، تعليقات وحواشي لشكيب أرسلان عليه ج1، ص 32.

ويورد الأستاذ (مونته) أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة جنيف، فى كتابه (محمد والقرآن)، صورة النبى عليه السلام فى قالب طيب حسن، ويضفى عليه من الصفات ماهو أهله حين يقول فى كتابه آنف الذكر: أما محمد فكان كريم الأخلاق حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم، صادق اللفظ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه صفة الحكمة، وصراحة اللفظ، والاقتناع التام بما يعمله ويقوله. هذا كلام المستشرق (مونته) جاء خلوا من أى تعصب أو غبش لم يسلم منه كثيرون غيره. وفى المضمار نفسه نجد أن المستشرق الفرنسى (اتيان دينيه) قد ألف كتابا أسماه (إنك فى واد وأنا فى واد) رد فيه على بعض المستشرقين الذين حاولوا تشويه صورة النبى عليه السلام[1] لاسيما المستشرق (لامنس) الذى تعد كتاباته من أحطّ وأخطر ماسطره المستشرقون على الإطلاق على مر الأعصار.

ويقول المستشرق (روم لاندو) عن النبى صلى الله عليه وسلم: «كان محمد تقيا بالفطرة، وكان من غير ريب مهيئًا لحمل رسالة الإصلاح التى تلقاها..... كانت مهمة محمد هائلة، كانت مهمة ليست فى ميسور دجال تحذوه دوافع أنانية – وهو الوصف الذى رمى به بعض الكتاب الغربيين المبكرين الرسول العربى – أن يرجو النجاح فى تحقيقها بمجهود شخصى، والزّعم القائل بأن فترات تلقيه للوحى كانت فى الواقع نوبات صرع، خاطئ على نحو جلى»[2] ويؤكد (منتجمرى وات) على أن أفكار محمد الرئيسة وديانته كانت برهانا كافيا لهداية الملايين[3]

هذه إذًا عينات من أراء وأقوال اجتزأناها. من كلام بعض المستشرقين المعتدلين، الموضوعيين فى تناولهم وبحثهم لشخصية النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وهم يمثلون الفريق الأول من الفريقين الذين يمثلان النظرة الاستشراقية بعامة، كما ذكرنا آنفا.

(1) المصدر نفسه: 1/ 33 – 34.

(2) روم لاندو (العرب والاسلام) ترجمة منير البعلبكى دار العلم للملايين. بيروت 1977 ط 2 / ص 33.

(3) ذكر ذلك فى كتاب (ماهو لاسلام) انظر ترجمة الفصل الأول لمحمد الزيادى من مجلة كلية الدعوة الإسلامية عدد 9 ص 636.

أما إذا عرجنا على الفريق الثانى سنجد أنهم يقررون ويصدرون أقوالاً وأوصافاً لم يقم لها دليل يسندها ولم تتوافق مع ماثبت فى كل المصادر التاريخية الموثقة التى تناولت حياته عليه السلام. فمن ذلك الكلام ما ذكره المستشرق (مارغوليوث) حين قال.. «إن محمداً كان يمارس الشعوذة، وكانت له مجالس سرية أشبه بمحافل الماسونية، وعلامات يتعارف بها مع أصحابه، وكانوا يرخون عذبة العمامة فوق مناكبهم.. (ثم يقول لامانس اليسوعى واصفا النبى عليه السلام) أنه كان مكثرا من الطعام والشره والاسترسال فى اللذات البدنية وقال أنه مات بالبطنة»[1].

وهذا (بدرودى الفونتو) يصف النبى صلى الله عليه وسلم «بعدم قدرته على التنبؤ، وأن كتابه الذى نزل عليه غير معزز بالمعجزات، وأنه شرير وكاذب، وكان ذا شهوات جامحة، ومتعجرفا فى الحياة بسبب نفوذه المغتصب»[2].

ويصوره لنا بعضهم على أساس أنه كان ضعيف الشأن فى قومه، وأن زواجه من خديجة كان من أجل المال، وأنه بعد اغتنى أخذ يضع خططا مستقبلية الوصول إلى السلطة، ثم استطاع بفضل المكر والخداع ادعاء النبوة وتكوين زمرة من منتهكى الحرمات – أى صحابته – وقطاع الطرق والقتلة واللصوص وبأعماله هذه نشر سلطانه [3].

هذه هى الصورة التى كان يرسمها قدماء المستشرقين للقراء ويبثونها بين ثنايا كتاباتهم، وهى لاتباين كثيرا، كتابات بعض معاصرى المستشرقين، وهى الصورة التى رسمها (كولى) فى كتابه (البحث عن الدين الحق).

«وهذا الدكتور (غلوور) يقول فى كتابه (تقدم التبشير العالمى): كان محمد، حاكما مطلقا، وكان يعتقد أن من حق الملك على الشعب أن يتبع هواه، أما جيشهم العربى، فكان يتعطش إلى التهديد والتغلب، وقد أرشدهم رسولهم إلى أن يقتلوا كل من يرفض اتباعهم ويبعد عن طريقهم»[4].

---

(1) حاضر العالم الاسلامى، انظر تعليقات وحواشى شكيب ارسلان، ج 1، ص 35.
(2) الظاهرة الاستشراقية ... ، 2/1.
(3) نفسه 2 /10.
(4) نفسه 2/11.

ومن أشهر المستشرقين الذين كتبوا عن شخصية النبى صلى الله عليه وسلم، المستشرق الشهير (ماكسيم رودنسون) الذى يذكر فى مقالة له بعنوان (حياة النبى والمشكلة الاجتماعية لأصول الإسلام) أن نشاط النبى كان يحركه طموح شخصى وقومى وأنه لجأ إلى الأساطير ليرضى غروره ويحقق نهمه للسلطة ويستشهد لهذا بمقالة للأديب الشهير (فوليتر) فى القرن الثامن عشر أورد فيها رسالة، ادعى أن النبى عليه السلام بعث بها إلى الزبير بن العوام، والتى جاء فيها على لسان النبى عليه السلام – يزعم (فولتير) و(رودنسون) مايلى :–

« .... إذا كنت سأجيب عن أحد غير الزبير، فلن أتكلم إلا عن الله هو الذى أوحى إلى أن السيف والقرآن فى يدى الدمويتين لأفرض السكون على بقية الإنسانية، وإن صوتى سيعلوا على صوت الرعد، وسأجعل جباههم تلامس الأرض، ولكنى أتحدث إليك، كإنسان بدون إخفاء شيء، أنصت فنحن على انفراد، إن لدى طموحاً، وكل إنسان له طموحات بلا شك، فليس هناك ملك ولاكاهن ولا رئيس، ولامواطن يمكنه أن يعرف مشروعاً فى عظمة مشروعى....... ولقد أتيت بعد ألف عام لأغير هذه السلطات الفجة.. وسألقى الآلهة الفاسدة... وعقيدتى الخاصة هى أن مولدى العظيم هو أول درجات الإصلاح...»[1]

نظرتهم للصحابة

من الأمثلة التى يمكننا إيرادها فى هذا المقام ماذكره المستشرق (كازانوفا) صاحب كتاب (محمد ونهاية العالم) عن أبى بكر الصديق، واصما إياه بالتدليس والتحريف فى متن القرآن المجيد، عندما نسب إليه زيادة بعض الآيات للقرآن ولاداعى لإعادة كلامه بنصه لأننا أوردناه فى مبحث سابق(*)

وإذا انتقلنا إلى مستشرق آخر تكلم عن الصحابة، يطالعنا المستشرق الإيطالى الشهير (كايتاتى) صاحب (الحوليات) فنجده «أفرغ.. فى افتراءاته على ابن عباس

---

(1) زينب رضوان فى تعليقها على كلام (رودنسون) مجلة الفكر العربى. معهد الإنماء العربى بيروت – لبنان 1983، عدد 32 – السنة الخامسة، ص 10، 11.

(*) انظر مبحث : المستشرقون والقرآن.

كل ما في جوفه من غل وحقد فرماه بنعوت... يتأذى منها القارئ، وهي لاتعدو في حقيقة الأمر، السب، والشتم، والقذف بكل ماهو قبيح»[1].

فمن أمثلة ما كاله (كايتاني) لابن عباس، اتهامه إياه بالكذب والاختلاق، فقال: لا يوجد احد تقريبا أقدر منه على الاختلاق – وزاد على ذلك –، وصفه اياه بأنه رجل مغرور، متلهف على الشهرة والمال والسلطان، وأنه أي ابن عباس– لايتراجع في سبيل تحقيق شهواته، ونيل مآربه ورغباته المسيطرة عليه، ولم يكتف (كايتاني) : «ثم أنه خالٍ من أي شعور بالعفة أو الحياء»[2] وبعد كل هذا عرج (كيتاني) على الصحابي الجليل العباس بن عبد المطلب، ولم يكن حظُّه خيرا من ابنه عبد الله، فقد اتهمه هذا المستشرق بالانتهازيه، والخداع مع ابنه، حين قال.. كان أبوه العباس.. نموذجا للخداع والانتهازية، وقد اقتدى الابن بآثار أبيه وقال عن العباس أيضا إنه : باع نفسه لمعاوية عند ما قام بخلع الحسن بن علي، واستمرّ كايتاني موجها اتهامه إلى عبد الله بن عباس وأبيه جمعيا.[3]

وممن طالته تهم (كايتاني) عبد الرحمن بن صخر، الشهير بأبي هريرة، وهو بين الرواة الأشهر والأغزر، حين قال عنه متهما إياه باختلاق الأحاديث والكذب: «إنه يميل في أحاديثه التي يرويها إلى الغرائب والمسائل الغيبية، وأنه يظهر جليا التأثير المسيحي في أحاديث أبي هريرة وزاد قائلا – : وأبو هريرة جدير بأن يرمى بالكذب فهو كذاب بكل معنى الكلمة» .[4]

وممن تكلم في (أبي هريرة) (جولدتسيهر) الذي اعتمد بعض كتابناعلى تجريحاته ونقلها عنه، وكذا (شبر نجر) الذي رماه واتهمه بأنه المتطرف في الاختلاق [5].

هذه عينة ممن تُكُلم فيهم من الصحابة وغيرهم كثير، فنقتصر على هؤلاء اختصارا.

---

(1) من قضايا الفكر الاسلامي كما يراها بعض المستشرقين – ترجمة صديق نصر وآخرين – منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس ليبيا، ص 400.

(2) السابق، ص 400.

(3) نفس المرجع ص 401.

(4) نفسه ص 426 – 427.

(5) محمد أبو شبهة (دفاع عن السنة) مكتبة السنة 1989 – ط 1 – ص 122 وكثير من علماء المسلمين لايوثقون رواياته لاسيما علماء ينظر مثلا ذلك كتاب (أبو هريرة) عبد.

الفصل الثانى
الطــروح الاستشراقــية
بين التصويب والتفنيد

المبحث الأول

الرد على من لم يسلم بعالمية الإسلام

بعد أن أوردنا فى الفصل السابق مذاهب المستشرقين فى تناولهم لقضية عالمية الإسلام، وبعد أن قسمنا الذين تناولوا هذه القضية بالبحث إلى طوائف ثلاث:

1 – طائفة أنكرت عالمية الرسالة الإسلامية.

2 – وطائفة آمنت وسلمت بعالمية الإسلام وأنه ليس مقصورا على العرب وحدهم.

3 – طائفة لم تحسم الأمر، ولم تحكم بقول قاطع فى هذه القضية.

نأتى الآن ونحاول فى هذا المقام أن نرد على من أنكر أن يكون الإسلام رسالة عالمية لكل الأجناس والأمصار، وزعم أنه موجه فقط لبلاد العرب؛ وساكنتها دون غيرها. وأن فكرة عالمية الرسالة فكرة لاحقة.

نقول – وبالله التوفيق – إن الرد على مثل هذه الإسقاطات والمزاعم، سيكون مزدوجا وذلك بأن نورد، دليلاً تاريخياً غير نقلى (لامن الكتاب ولا السنة) ثم نشفع ذلك بالأدلة القرآنية من الآيات واضحة الدلالة مع بعض الآثار النبوية الموضحة لهذه القضية.

فأما الدليل الأول على كون الرسالة الإسلامية رسالة عالمية، هو ما ثبت تاريخيا من أن النبى صلى الله عليه وسلم قام بعد صلح الحديبية، بإرسال كتب(*) إلى أهم من كان فى الجزيرة العربية وخارجها، من ملوك وحكام، يدعوهم فيها إلى

(*) لاتزال بعض هذه الكتب محفوظة فى عصرنا هذا فى بعض المتاحف منها(Tobkape) بتركيا.

الإسـلام، ومن ذلك مـا أرسله صلى الله عليـه وسلم، إلى كل من قـيـصـر الروم(*)، وكسرى ملك فارس، ونجاشى الحبشة، والمقوقس عظيم أقباط مصر فى عصره(**) اليس هذا شاهدا جليا على عموم وعالمية الرسالة الإسلامية ؟ اللهم بلى !! ومع هذا الدليل ، فمن بنا أن نورد كلمة لأحد المستشرقين - من باب وشهد شاهد من أهلها- وهو المستشرق (توماس أرنولد)، الذى يقول : «لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب، بل إن للعالم أجمع نصيب فيها، ودلل توماس على ذلك بإرسال الكتب لملوك العالم حيذاك»(1)

أما الوجه الثانى للاستدلال بعد الوجه التاريخى، فهو الوجه النقلى، أى ماورد من آيٍ وأحاديث فيما يخص هذا المقام فنقول: إن عماد الأدلة عندنا نحن المسلمين، هو ما يرد عندنا فى كتاب الله أولا، ثم ما يرد فى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم - من نقل صحيح - ثانيا، وهذان المصدران هما اللذان يحددان معالم وأحكام هذه القضية، الرسالة عامة أم هى خاصة ؟ وباستقراء آى القرآن المتعلقة بهذه النقطة نجد أنها تتجه وبوضوح تام نحو توكيد عمومية الدعوة، (ومن هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر، مايلى) : الآية

1 - ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ سورة (ص) الآيتان 87 - 88.

2 - ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ سورة (الفرقان) الآية 1.

3 - ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف 158) .

4 - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة آية 33).

(*) انظر رسالته إلى هرقل قيصر الروم فى : صحيح البخارى مع فتح البارى جـ 8.

(**) انظر بحثنا (صلح الحديبية وأثره فى العلاقات الدولية للدولة الاسلامية) وكتب السيرة بعامة.

(1) ظاهرة انتشار الإسلام - محمد الزيادى. ص 40.

5 – ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ الآية 28) .

هذه الآيات الدالة على عالمية الإسلام، يقابلها أدلة على أن ألفاظ القرآن الكريم واضحة محددة فعندما ذكر الأنبياء والمرسلين حدد أنهم لأقوامهم فقط مثل قوله :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ (الأعراف : 59) .

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ (الأعراف: 85) .

هذه الآيات واضحة، إن نوحا وشعيبا،... أرسل كل منهما إلى (قومه)، أما محمد صلى الله عليه وسلم، فبوضوح أعلن إنه أرسل (للعالمين)، فكيف فهم (هؤلاء المستشرقون) من فقه اللغة العربية أن كلمة (عالمين) تعنى العرب فقط ؟!! [1].

أما الأدلة من السنة النبوية المطهرة فيضيق – لكثرتها – الموقف بإزجائها جمعاء، فنقتصر على ذكر بعض منها، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم، فى سياق ذكره لما اختصه الله به من ميزات انفرد بها عن إخوانه الرسل عليهم السلام حين قال : «وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»[2] وقوله لأصحابه: «إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر» وقوله «إن دينى.... سيبلغ ما بلغ ملك كسرى» وقوله «إنى بعثت رحمة وكافة» وقوله «وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون» [3].

كل هذا وغيره من الأدلة، لا تصمد أمامه افتراءات أو أغلاط، كايتانى، وموير وأضرابهما.

---

(1) شوقى أبو خليل، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا 1991، ص 158 – 159 .

(2) ابن حجر العسقلانى – فتح البارى شرح صحيح البخارى طبعة مصطفى الحلبى 1959 القاهرة– جـ 2، ص 79 .

(3) أبو الحسين مسلم، صحيح مسلم – تحقيق محمد عبد الباقى، دار الحديث القاهرة ج 1، ص 371 .

المبحث الثانى
الرد على طروحهم بشأن القرآن

فى سياق ردنا على النظرة الاستشراقية وآراء بعض المستشرقين فيما يتعلق بالقران المجيد، لنبدأ بما انتهينا عنده ثَمَّ ، أى فى مبحث القرآن والمستشرقين، حيث ذكرنا أن بعضهم حاول أن يفسر ويشرح بعض الآيات الكريمة حسب فهمه القاصر.

وقد حكمنا على قصوره بما تمخض عنه تفسيره لتلكم الآيات فأتى هؤلاء بما لم يسبقوا به من قبل، فظهر جليا بالإطلاع على هذه التفسيرات لبعض الآيات القرآنية مدى قصور الفهم عندهم، فهذا الفهم المبتسر للقرآن الكريم يؤكد على تحقق القصور، الذى اتسمت به هذه المحاولات التفسيرية، لعدم أهلية أصحابها الأعاجم للتصدى لهذا المجال الخطير – أى تفسير القرآن المجيد–:

فالقرآن يمكن دراسته وفهمه من زوايا عديدة مختلفة ،لكنها حتما ستنتهى إلى محورين أساسين هما :

1 - الفكر.

2 - اللغة.

فمن ناحية الفكر فإنه – أى الفكر الغربى– قد جانب الصواب، لأنه ظل حبيس المؤثرات الأولى التى شوهت صورة الإسلام فى عقول الغربيين عموما بما انتشر فى ثقافة الغرب من أباطيل طبعتها الأيد يولوجيا الثقافية الأوربية فى العصور الوسطى، وباعتبار القرآن كتاب عقيدة فلابد من أن يواجه العقائد المغايرة له لأنه أساسا جاء لتصحيح مسار فكرها ومنحنياتها، ومن حيث إنه كذلك فإن الصدمة التى أحدثتها الحضارة الإسلامية فى المجتمعات الأوربية ستواجه من قبل الكنيسة الأوربية،(1)

(1) مصطفى المسلاتى – الاستشراق السياسى فى النصف الأول من القرن العشرين – دار اقرأ للطباعة والترجمة 1986، ط 1 – ص 108.

أما من ناحية اللغة، فإن القرآن المجيد كتاب جاء بلغة عربية قحة حاملا لأوجه من البلاغة على درجة من الإعجاز كبيرة، لايتأتى لكثير من العرب أنفسهم درك كوامنه اللغوية والبلاغية(1) فما بالك بأعاجم الغربيين الألى لم يألفوا هذه اللغة الواسعة الدقيقة، التى اتخذت أعظم صورها فى القرآن المجيد، فطبعى أن ينغلق الفهم على من كانت هذه حالة من المستشرقين، وبدهى أيضا أن تأتى نتائج محاولاتهم فى هذا المجال، عقيمة غير مثمرة.

أصل الوحى :

أما عن تلك الفرية الخبيثة التى تبناها بعض المستشرقين مثل (نولدكه) و(غوستاف لوبون) وأضرابهما، ونعنى بها قولهم إن النازل على النبى صلى الله عليه سلم فى فترات الوحى ما هو إلا نوبات صرع كانت تعتريه، مصحوبة باحتقان وغثيان، فالحق أن فساد هذه الفرية يغنى عن إفسادها، وتفنيدها. لكننا نقول متسائلين: على أى أساس بنوا كلامهم هذا ؟ وعن أى أصل نقلوه ؟ فإنه لم يبث فى أى نقل صحيح معتمد، فكيف يتم تبنى فكرة هذا حالها وكلاما لا أصل له من جانب من تصدى للبحث والدراسة ؟ والحاصل أن كل كلام بلا دليل، محض قول عليل؛ فلا وزن له ولا قيمة على الصعيد العلمى الموضوعى.

ومن جهة أخرى فهذا الكلام والادعاء آنف الذكر، ترده الحقائق العلمية والواقع الملموس ذلك أنه من المعلوم والملاحظ أن الشخص المصاب بالصرع تحدث له حالة غياب عن الوعى وتتوقف ذاكرته توقفا تاما، بحيث يستحيل للمصروع أن يذكر ما حدث له فترة صرعه، ولا ما قيل له، ولا ما قال.

فإن كانت الحالة هذه فكيف تكون حالة الوحى إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم حالة صرع، وهو لا ينسى حرفا واحدا مما يوحى به إليه هذا يعنى بوضوح أن ذاكرته لم تعطل فكيف يكون هذا صرعا ؟

وفى هذا يقول المستشرق (غويه) مفنداً هذا الزعم الباطل : «إن هذا الافتراض– أى الإصابة بالصرع– ليس بصحيح لأن الذاكرة عند المصابين بالصرع

---

(1) نفسه ص 109.

تكون معطلة، والحال هي بالعكس عند محمد، الذى كان يتذكر كل ما يسمعه فى أثناء هذه النوبات»[1]

نعم هذا ما يقرره الواقع فكل ما ينسب للهستيريا أو الصرع من «هذيان يحدث أثناء النوبة فإذا أفاق المريض لم يتذكر شيئا مما قاله – وكما ذكرنا – هذا على عكس حاله محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد كان لا ينطق فى أثناء الوحى بشئ حتى يتم، فيعيد كل ما ألقى إليه ويأمر بتدوينه»[2]

إن مواضيع الهذيانات الهستيرية لاتخرج عادة عن تصورات وهمية تناسب الأعصاب المتعبة المريضة، كأن يتصور المريض تصورات مرعبة له، أو يتلفظ بكلام لا معنى ولاأساس له بغير ضوابط من منطق أو نظام ولم يشاهد قط هذيان لمصروع، موضوعه نشر فضائل، ونهى عن رذائل، فى قمة البلاغة والإتقان، داع للهداية كما هو الحال مع نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما ينقله من وحى الله تعالى.

كان من المفتريات التى لاتقل سماجة عما كنا بصدد تفنيده ما سطره (فيليب حِتّى) فى كتابه الموسوم ب (تاريخ العرب المطول) حيث زعم فيه أن الوحى، جاء النبى – صلى الله عليه وسلم وهو نائم[3] وعلى هذا فما نقله إلينا من كلام الله تعالى ماهو إلا منامات لا واقع ولاندرى ولا يدرى أحد – ما خلا الكاتب نفسه من اخبره بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان آنذاك نائما، نعم إن أتى على ادعائه هذا بدليل صحيح يعضده لأمكن حينئذ الرد عليه ومناقشته، أما والحالة هذه، أى كلام بلا دليل ولاسند، فيكفى فيه الإنكار، ونقول (البينة على من ادعى) فمن لم يأت ببينة على كلامه، فلا معنى ولاوزن لقوله، ولأحرج فى رده، ولا يشفع له الاعتماد على بعض المرويات الواهية التى حفلت بها كتب التاريخ والسيرة.

---

(1) حاضر العالم الاسلامى. لوثروب ستوارد، انظر تعليقات شكيب أرسلان عليه، 2/243.

(2) محمد فريد وجدى – مجلة الأزهر – المجلد 10، نقلا عن روح الدين الإسلامى – لعفيف طبارة، 1964، ط 6، ص 410.

(3) انظر شوقى أبوخليل، (أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين) ص 87 حيث تفنيد هذا لكن عند ابن هشام فى السيرة، ص 267 ومابعدها عن النبى «فجاءنى جبريل أنا نائم فقال اقرأ فقرأتها ثم انتهى فانصرف عن وهببت من نومى» وانظر تعليق عمر تدمرى على ابن هشام ص 267 – 268 ج 1 فكلام فيليب، له وجه إذا جاز الاعتماد على مثل هاته الرواية الفاسدة التى لا يتورع عباد الأسانيد عن إثباتها.

ومتى كان الإنسان يرى فى مناماته، كلاما محكما، لاتناقض فيه، ولا يخالف عقلا أو علما، ومنه تشريع كامل للمجتمع، ينظم له قواعد حياته السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية ؟[1] فهل يعقل بأى معيار من المعايير أن تتمخض الرؤى والمنامات عن صورة لانظير لها من صور الهداية والإعجاز، والتى لا سبيل لغمط عظمتها، ونكران خطرها، وعلو شأنها، إلا من طرف مكابر ختّار. هذا لمن زعم أنه كله منامات – لو زعم ذلك، أما ابتداء الوحى فى المنام فله ما يسنده من بعض المرويات التى لا نرضى عن فحواها ولا نثق فى متانتها الوثوقية، فى أى حال رغم ورودها فى بعض أصول المصادر كسيرة ابن إسحاق مثلاً.

الرد على شبهة تحريف القرآن :

علمنا فى الفصل السابق وفى سياق عرض شُبه وتلبيسات بعض المستشرقين الذين تناولوا القرآن وتاريخه بالدراسة، أن منهم من آثار شبهةً كبرى وفرية عظمي، مفادها القرآن الذى بين أيدينا قد وصلنا محرفا ومحشواً بإضافات، أضافها عليه بعض الصحابة وغيرهم تبعا لأهوائهم كما زعم كازانوفا (cazanova) وغيره.

إن من يعتقد بلاهوتية المصدر القرآنى يكفيه دليلاً على امتناع أن تصله يد بشر بتحريف البته، يكفيه آية واحدة من القرآن الكريم هى قوله تعالى فى كتابه المحفوظ : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(*).

فما دام الله تعالى، قد تعهد بحفظ ما أنزل فلا يمكن أن يلحقه أى تدليس أو تحريف من أى مصدر كان، نعم قد يقول البعض : ظهرت نسخ من القرآن طبعت محرفة وانتشرت بين كثير من الناس، فهل هذا يعنى أنه محفوظ ؟ كيف هذا وقد دخله تحريف ؟

أقول نعم قد تطبع نسخ محرفة كما قد وقع فعلاً، ولكن لايمكن أن يقع تداولها وتعاطيها طويلا فما أن تظهر نسخة من هذه النسخ، حتى يقيض الله لها من يزيلها ويمنع تعاطيها وهذا الحفظ من صور الحفظ الذى تعهد الله تعالى به لكتابه المجيد.

---

(1) نفسه، ص 88.

(*) سورة الحجر – الآية (9).

كذلك وفى سياق الرد على من يدعى وقوع هذا التحريف، يمكننا إلقاء نظرة عَجلَى على تاريخ تدوين القرآن المجيد، وفى هذا الصدد يقول - (روم لاندو) - فى كتابه (الإسلام والعرب): «فحين ظهرت بوادر تؤذن بأن عدد الحفاظ، آخذ فى التناقض على نحو خطير كلف كاتب الوحى (زيد بن ثابت)، جمع الآيات القرآنية فى شكل كتاب، وكان أبوبكر قد أشرف على هذه المهمة، وفى ما بعد، إثر جهد مستأنف بذل بأمر من الخليفة عثمان اتخذ القرآن شكله القانونى النهائى الذى وصل إلينا سليما لم يطرأ عليه أى تحريف»[1].

وهكذا يظهر جليا بعد أن - شهد شاهد من أهلها - أن القرآن لم يحرف وعلى من ادّعى أقامة الحجة لدعواه، وأنى له بحجة ؟

من المعلوم لدينا - نحن معاشر المسلمين - كيفية جمع القرآن سواء ماكان محفوظا فى الصدور، أو مكتوبا فى السطور، وقيام الرسول ببيان هذا كله وإقراره للمسلمين قبل وفاته ثم قيام أبى بكر الصديق بجمع القرآن نظرا لموت الكثيرمن القراء فى معارك الجهاد. ثم قيام عثمان بتوحيد القرآن فى مصحف واحد للقضاء على الاختلاف الذى حدث فى قراءاته طبقا للأحرف السبعة التى نزل بها، ونلاحظ أن المسلمين قد سلكوا المناهج العلمية الصارمة فى جمع القرآن وتحقيقه وتمحيصه على أحدث ما وصل إليه البحث العلمى الصحيح ، ونستنتج من ذلك كله صحة القرآن، ووصوله إلينا متواتراً، لازيادة فيه ولانقصان[2].

ولو تمت مقارنة آخر نسخة طبعت من القرآن المجيد فى هذا العصر مع المصحف الأول المحفوظ فى بعض المتاحف، لما وجد أى اختلاف بينها لا فى حرف ولانقطة بله الآيات، إلا فيما تحتمله أوجه القراءات العشر المتواترة عند المسلمين.

وقد وقع فى مرويات عديدة سواء عند فرقة الشيعة أو فرقة السنة ما يؤكد وقوع حذف ونقص فى القرآن عما كان عليه فى عهد النبى، وهى مثبته فى عدد من الكتب الحديثية كالمستدرك للحاكم، ومعجم الطبرانى الكبير غيرهما (انظر الاتقان للسيوطى ج2 والبرهان للزركشى ج2) لكن الأخذ بتلك المرويات فيه رد لوعد الله بالحفظ وتكذيب لكلام النبى بالحفظ، وهذا من عيوب دراسة عباد الأسانيد من المحدثين الجامد ين على الرواية دون الفقه والتحقيق.

---

(1) الإسلام والعرب - ص 296.
(2) الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية - 2/ 374.

المبحث الثالث
الرد على طروحهم فى علم الحديث

قضية نقد المتن

هذه شبهة من أشهر ما أثاره كثير من المستشرقين الذين تصدوا لدراسة علوم الحديث وتاريخه، وكثيرا ما دندنوا حولها، فى سبيل غايته اجتراح ثغرة، تزجى من خلالها التشكيكات والتلبيسات على الحديث النبوى والسنة بعامة، فأشاعوا أن علماء المسلمين لم يعنوا بنقد متون الأحاديث، بل انصب اهتمامهم على نقد السند وتمحيصه فقط.

إن الحق الذى نعتقده ونجزم به، أن كثيراً من محدّثى المسلمين قد أولوا عناية واهتماما للمتن إلى جانب اهتمامهم الأشهر والأكبر بالإسناد، وقاموا بنقد المتون كما نقدوا الأسانيد(*) ومن الأدلة على ذلك، ما قرره علماء المسلمين من ضوابط وشروط، يجب أن ينطوى عليها المتن كى يتم قبول الحديث والحكم بصحته، فمن تلكم الشروط:

أن لايكون الحديث ركيك اللفظ، وألايكون مخالفا لبدهيات العقول مع عدم إمكانية تأويله بلاتعسف، وأن لا يكون مخالفا للحس والمشاهدة، وأن لايكون مخالفا لقواعد الأخلاق، وأن لا يعارض القران، وغير ذلك من الشروط الموضحة فى مظانها،

(*) صنف ابن القيم مصنفنا رائد فى نقد المتن هو (المنار المنيف فى الصحيح والضيف) بتحقيق عبد الفتاح ابوغدة ط مكتبة ابن تيمية. انظر كلامه فى علامات الموضوع) 50، 140) وكذا للزركشى (الاجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة) وللدكتور نورالدين عتر دراسة (منهج النقد عند علماء الحديث) تعرض فيها لموضوع نقد المتن. وكذا لمحمد طاهر الجوابى : (جهود المحدثين فى نقد متن الحديث النبوى) ولعل أوفى ماكتب فى هذا الموضوع (منهج نقد المتن) لصلاح الدين الإدلبى – انظر منه ص 28. وما تلاها.

من كتب الحديث وعلومه. فيما يلي سأذكر ما قرره ابن القيم من علامات يعرف بها المتن المكذوب، والملاحظ أن كثيراً من أهل الحديث يقبلون هاته العلامات نظرياً لكنهم عملياً لايطبقونها ولا يحتكمون إليها، حيث يجعلونها محكومة بمعيار السند، وهذا من المؤسفات.

إن ابن القيم لم يكن دقيقاً في عرضه لهذا العلامات حيث كان يكرر بعضها بصيغ أخري، وفيما يلي أهم ماذكره من هاتيك العلائم التي يكتشف بها الحديث الموضوع(*) :

1 – اشتماله على مبالغات في الثواب أوالعقاب مثل قولهم (من قال لاإله إلا الله خلق الله من تلك الكلمة طائرا له سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون الله نه).

2 – مخالفة فحوى المتن للحس. من أمثله ذلك قولهم (الباذنجان لما أكل له) قال ابن القيم «هذا لو قاله.. أمهر الأطباء لسخر الناس منه» ومن هذا حديث «عليكم بالعدس فإنه مبارك يرقق القلب» وقولهم «أكذب الناس الصباغون والصواغون».

3 – سماجة الحديث وكونه مما يسخر منه كحديث (لو كان الأرز رجلا لكان حليمًا ما أكله جائع إلا شبع) وحديث (لو يعلم الناس مافي الحلبة لاشتروها بوزنها ذهباً) وحديث (لاتسبوا الديك فإنه صديقي ولو يعلم بنو آدم ما في صوته لاشتروا ريشه ولحمه بالذهب) وحديث (من اتخذ ديكاً أبيض لم يقربه شيطان ولاسحر).

4 – مناقضة الحديث لما جاءت به السنة الصريحة مناقضة بينة، ومن هذا الباب أحاديث من اسمه محمد وأحمد وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار، وهذا مناقض لماهو معلوم من دينه صلى الله عليه وسلم أن النار لا ينجى منها بالأسماء والألقاب وإنما النجاة منها بالإيمان والأعمال الصالحة[1].

(*) انظر المنار المنيف ص 50 وما بعدها.

(1) المنار المنيف ص 56.

5 – أن يدعَى على النبى صلى الله عليه وسلم أنه فعل أمراً ظاهرا بحضور أكثر الصحابة. وأنهم اتفقوا على كتمانه ومثاله ما ورد من أن الشمس ردت لسيدنا على بعد العصر والناس يشاهدونها(*).

6 – أن يكون الحديث باطلا فى نفسه كحديث «الحجرة التى فى السماء من عرق لأفعى التى تحت العرش وحديث» و(إذا غضب الله تعالى أنزل الوحى بالفارسية وإذا رضى أنزله بالعربية) وحديث (من لم يكن له مال يتصدق به فليلعن اليهود والنصارى).

7 – أن يكون كلامه لا يشبه كلام الأنبياء مثل حديثهم (النظر إلى الوجه الحسن يجلو البصر) وحديث (إن الله طهر قوّما من الذنوب بالصلعة فى رؤوسهم وإن عليا لأولهم) وحديث (النظر إلى الوجه الجميل عبادة).

8 – أن يكون الحديث مصرحاً بتاريخ وتحديد لسنوات تقع فيها أمور مخصوصة (وقد كرر هذه العلامة ص 110) ومنها حديث (إذا كان سنة خمسين ومئة خرجت شياطين حبسهم سليمان بن داوود فى جزائر البحر) وحديث (إذا كانت سنة خمسين ومئة فخير أولادكم البنات).

9 – أن يكون الحديث بوصف الأطباء والطرقية أشبه وأنسب ومثل ذلك حديث (أكل السمك يوهن الجسد) وحديث (النفخ فى الطعام يذهب البركة) وحديث (أتانى جبريل بهريسة من الجنة فأكلتها فأعطيت قوة أربعين رجلا فى الجماع) وحديث (إذا طنت أذن أحدكم فليصلِّ علىّ وليقل : ذكر الله من ذكرنى بخير).

10 – الأحاديث التى يذكر فيها سيدنا الخضر واستمرارحياته كلها كذب ولا يصح فى استمرار حياته حديث واحد. ومن تلك الأحاديث (يلتقى الخضر وإلياس كل عام

(*) هذا الحديث نفاه الإمام أحمد وابن تيمية وابن الجوزى والذهبي وابن كثير فى البداية والنهاية 323/1 وانظر تنزيه الشريعة لابن عراق 374/1 وقد صححه الأخير وكذلك صححه الطحاوي فى مشكل الآثار 8/2 والبيهقى فى دلائل النبوة والقاضى عياض فى الشفاء. فى مجمع الزوائد 297/8 وابن حجر فى الفتح 155/6 فرض الخمس، وصححه القسطلانى فى المواهب اللدنية 336/1 والسخاوى فى المقاصد 226.

يحلق كل منهما رأس صاحبه) وحديث سماع الرسول فى المسجد كلاما فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر.

11 – مخالفة الحديث صريح القرآن مثل حديث عمر الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة ونحن فى الألف السابعة والله تعالى يقول (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لايجليها لوقتها إلا هو) وكذا حديث (إن الميت ليعذب ببكاء أهله) مخالف لقوله عز و تعالى (ولاتزر وازرة وزر أخرى).

12 – ركاكة ألفاظ الحديث وسماجتها بحيث يمجها السمع ويدفعها الطبع مثل حديث (من فارق الدنيا سكران دخل القبر سكران ويعث من قبره سكران وأمر به إلى النار سكران إلى جبل يقال له سكران) و حديث (إن لله ملكا من حجارة يقال له غمارة يتنزل على حمار من حجارة كل يوم فيسعّر الأسعار ثم يعرج).

13 – ما يقترن بالحديث من القرائن الموضحة لكذبه كمخالفته للتاريخ والوقائع المعلومة. من ذلك حديث ورد فى أن (النبى وضع الجزية عن أهل خيبر وشهد على ذلك سعد بن معاذ وكتبه معاوية). والواقع أن سعداً توفى سنة خمس قبل فتح خيبر وكذا معاوية لم يكن أسلم يومئذ كما أن الجزية لم تكن فرضت حينذاك ولم يعرفها الصحابة ولاالعرب وقتها فكيف يسقطها النبى وقد شرعت بعد غزوة تبوك فسنها النبى على نصارى نجران ويهود اليمن.

إن هذه الشروط تدل بجلاء على اهتمام واضعيها بالمتن ونقده فهى لا تتعلق بالسند البته، بل هى موضوعة لتمحيص المتن ونقده وما يحوى، ولو كان علماء المسلمين غير مهتمين بنقد المتن كما زعم بعض المستشرقين لما وضعوا هذه الشروط آنفة الذكر ولكانوا اكتفوا بالتمعن فى الأسانيد فقط كما ادعى شاخت وجولدزيهر، وجوينبول ومن نحى نحوهم، وقال بقولهم هذا(*)

(*) ورد قول (السائح حسين) فى مقاله (تراثنا وموازين النقد) مج كلية الدعوة الإسلامية – العدد 10 – ص 173 قال: وبهذا المنهج المتعلق بنقد السند حدد علماء هذا الفن الاحاديث الصحيحة كما بينوا الضعيفة) وقوله: فى الوقت الذى نجد فيه المحدثين يكتفون بصحة السند نجد علماء الكلام يصرون على أن يكون متن الحديث مما يقره العقل ص 176.

ومما يدفع هذه الشبهة ويؤكد على اهتمام علماء المسلمين بنقد المتن ما نجده في كتب كثيرين من المحدثين والحفّاظ من إطناب في توضيح تلكم الضوابط الموضوعة لنقد المتن، كما في كتابات الحافظ ابن حجر وابن كثير، والشافعي في الرسالة وابن الصلاح وغيرهم فهذا ابن كثير مثلا يقول تحت عنوان (صحة الإسناد لا يلزم منها صحة المتن) «والحكم بالصحة أو الحسن على الاسناد لايلزم منه الحكم بذلك على المتن، إذ قد يكون – أي المتن – شاذا أو معللا» [1].

ومن ثم فلا محل للمراء في هذه القضية، لأن الأمر واضح، لايغفل عنه إلا من في نفسه حاجة يرومها، أو قصد مسبق يهدف إليه.

إن علماء الحديث عندما قسموا الأحاديث إلى صحيحة وحسنه فإنهم في الحقيقة تناولوا السند والمتن معا، أو حسنه في اسناده ومتنه، فما كل ماصح سندا صح متنا ... وعند حديث العلماء عن الحديث المعلل فإنهم لم ينفوا تعليل المتن فقالوا بألا يطلق الحكم بصحة حديث ما لجواز أن يكون فيه علة في متنه.... وعندما ما تحدثوا عن المقلوب قسموه إلى قسمين مقلوب متنا ومقلوب إسنادا ... ومن هنا جاء تشددهم في أداء الحديث باللفظ الموجه أساسا للمتن... إذا فالمسلمون اهتموا بمتن الحديث عند دراستهم لسنده وقد اختلط النقد حتى أصبح القراء لا يفرقون بينها فاعتقدوا أن النقد قد انصب على السند أكثر من انصبابه على المتن)[2].

وليس خافياً أن الأجيال المتأخرة من علماء الحديث ازورّ أكثرهم عن الاهتمام بالنقد الداخلي لمتون الأحاديث، واكتفوا بالأحكام المتعلقة بالأسانيد مما ورثوه جاهزا من أسلافهم.

قد يكون هذا هو مرد تلكم الشبهة الاستشراقية، إذا ما أحسنا الظن بأصحابها، وقد يكون خبث النية، و سوء الطوية. ولا أجزم بهذا أو ذاك.

(1) أحمد شاكر – الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير، دار التراث – القاهرة 1979 ميلادية ط 3 – ص 36.
(2) الظاهرة الاستشراقية... 601/2.

ويمكننا فى هذا المقام ومن باب قولهم (بالمثال يتضح المقال) أن نزجى بعض المواقف لبعض أهل الحديث المسلمين، تبين اعتمادهم فى نقد الحديث على تمحيص المتن والتدقيق فيه وردهم لبعض الأحاديث التى لم تتوفر فيها الشروط الموضوعة لصحة المتن وفى هذا دليل من شأنه ان يجلى غيوم الشبهات المثارة بشأن عدم اهتمام المحدثين المسلمين بنقد المتن.

فمن تلكم المواقف المبينة لحقيقة اهتمام المسلمين بمتون الأحاديث وتوثيقها بعيدا عن السند ما ورد عن الإمام (إبراهيم النخعى) من رده لبعض أحاديث أبى هريرة، (ويبرر ذلك بفعل بعض الصحابة: وموقفهم من هذه الأحاديث، وكان (النخعى) يقول كانوا – أى الصحابة – يأخذون من حديث أبى هريرة ويدعون.. (وقال أيضا) لو كان ولد لزنى شر الثلاثة لما انتظر أمه أن تضع. وهو هنا – أى النخعى – ينكر حديث أبى هريرة – الذى يقول– (ولد الزنى شر الثلاثة)، وقد رده هنا كما نرى بالقياس، وروى هذا عن (الإمام) الشعبى أيضا(*).

وقد رد إبراهيم النخعى أيضا حديث (فاطمة بنت قيس) حديث التغريب للعانس وحديث الشاهد واليمين، لمعارضتها – فى رأيه – للقرآن، كما رد أحاديث القنوت فى الفجر، لأنه حسب رأيه لو صح لاشتهر عن جمع من الصحابة، أى أنه مما تعم به البلوى)[1] .

«وقال ابن القيم فى نقد الحديث الموضوع الآتى (إذا عطس الرجل عند الحديث فهو صادق) قال: هذا وإن صحح بعض الناس سنده فالحس يشهد بوضعه لأنا نشاهد العطاس والكذب يعمل عمله، ولو عطس ألف رجل عند ذكر حديث يروى عن النبى لم يحكم بصحته بالعطاس»[2].

(*) وعن ابن عباس قوله (لو كان شر الثلاثة ما استؤنى بأمه أن ترجم حتى تضعه) انظر الإجابة... للزركشي ص 119 نقلا عن منهج نقد المتن لصلاح الإدلبى ص 144 وأقرت عائشة هذا الحديث عن أبى هريرة موضحة أنه قيل فى رجل منافق يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم وأنه منافق ولد زنى نفسه ص 111.

(1) رفعت فوزى عبد المطلب (توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى أسسه واتجاهاته) مكتبة الخانجي – مصر – 1981 – ط 1 – ص 175.

(2) محمد أبو شبهة (دفاع عن السنة) مكتبة السنة، 1989، ط (1) ص 42، 43.

ومشهور موقف الإمام مالك من جملة أحاديث ردها ولم يقبل فحواها على الرغم من سلامة أسانيدها من ذلكم رده لحديث غسل الإناء سبعا لولوغ الكلب فيه. قال فيه مالك جاء الحديث ولا أدرى ما حقيقتة ويقول مرتابا فى معناه ومتنه: يؤكل صيده أى الكلب – فكيف يكره لعابه ؟

وفى حديث (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) يرى مالك مخالفة للقاعدة القرانية (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى).

كذلك حديث إكفاء القدور التى طبخت فيها الغنم والإبل قبل القسمة من الغنائم وأن النبى جعل يمرغ اللحم فى التراب بعد طرحه من القدور، يرد مالك هذا الحديث؛ لأن عمل النبى لوصح لكان منافياً للمصلحة والفائدة[1].

وانطلاقا من رأيه المقرر من أن «خبر الواحد لا يعمل به إلا إذا لم يعارضه أصل قطعى»[2] وهو مذهب أبى حنيفة.

ولسنا نعدم فى عصرنا من يرى عدم جواز نقد المتن لأنه يرى أنها مهمة قام بها الأولون وانتهى الأمر وهذا رأى بالغ الفساد إذا لا يجوز للعالم أن يتكل على عقول من سبقه، وينفى وجوده، ويعطل عقله ومواهبه التى حباه الله بها. فهذا الدكتور محمد الدسوقى يرى أن «محاولة النظر فى السنة من جديد وتبنى موقف الشك فى صحتها يعنى إغفال كل الجهود التى بذلت فى تمحيصها»[3].

ويرى محمد الغمراوى أن نقد متون الأحاديث فى هذا العصر هو «تحكيم للرأى فى الدين»[4] وأن «تمحيص السنة قد قام به أهل الحديث على صورة لم تدع زيادة لمستزيد»[5].

(1) انظر (مالك حياته وعصره) لمحمد زهرة ص 275 – 276 نقلا عن الفكر الاسلامى بين العقل الوحى لعبد العال سالم ص 62 – 63.

(2) انظر الموافقات فى أصول الأحكام للشاطبى 2/166 وقد انكر ابن حزم هذا المنهج النقدى فى قوله عن أبى حنيفة والشافعى: «وهم كثيرا يعارضون السنن بأنهاخلاف الأصول»، انظر المحلى 5 /203. وهذا فى سياق رده لرأيهما أن لازكاة فى مال المكاتب.

(3) مناهج البحث فى العلوم الإسلامية، ص 266.

(4) نفسه، ص 267

(5) نفسه، ص 267.

هذه الآراء ونحوها تدعم القول بأن علماء المسلمين كانوا يتلقون الحديث دون تمحيص ولا نظر مادام سنده صحيحا وهذا ماسيقوم به كثير من علمائنا رغم مخالفته المنهجية النقدية ومنهجية كثير من أعلام المحدثين والفقهاء مثل مالك، وأبى حنيفة. فضلاً عن كون هذا المنهج النقدى هو منهج الصحابة واشتهر ذلك عن كثيرين منهم فردوا أحاديث لكونها مخالفة لظاهرة القرآن أو للتعقل.

ومن أمثلة ذلك رد ابن عباس لحديث الأمر بالغسل من حمل الجنازة – ورد عائشة لحديث تعذيب الميت ببكاء أهله عليه لمعارضته لقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) كذلك الحديث الذى خرجه أبو داود فى سننه عن النبى أنه (يقطع الصلاة المرأة الحائض والكلب) فاعترضت عائشة وقالت بئسما عدلتمونا بالحمار والكلب.

إن جماع مقايس نقد الصحابة للمتن، فى عرضه على ما يلى:

1 – عرضه على القرآن.

2 – وعلى الحديث المحفوظ الثابت.

3 – وعلى الوقائع والمعلومات التاريخية الثابتة[1].

وبقى هذا المنهج عند أعلام التابعين فمالك بن أنس مثلا قيل إنه اصطفى الموطأ من 9000 حديث، حتى خلص إلى 700.

وقال ابن الجوزى فى الحديث الموضوع (الآتى) «شكوت إلى جبريل رمد عينى فقال لى انظر المصحف» قال ابن الجوزى: «وأين كان فى العهد النبوى مصحف حتى ينظر فيه؟»[2] أنا هنا لا أنكر الواقع الذى هو أن الاهتمام بالمتن عند علمائنا لم يبلغ درجة الاهتمام بالسند مع اعتبارهما جميعا كما أسلفت آنفا. ونحن نجد فى هذا الوقت من لا يسلم عرضه ولاشخصه من أذى عباد الأسانيد، ولو تجرأ مجتهد معاصرة على مثل ما قاله مالك والنخعى وأبوحنيفة وغيرهم كما رأينا آنفا لبادر عباد الأسانيد فى هذا العصر بمنحه شهادات تكفير أوتضليل بلا تردد.

---

(1) انظر للتوسع كتاب جهود المحدثين فى نقد متن الحديث.. – محمد الجوابى ص 460 وما تلاها.
(2) نفسه، ص 42.

قضية أول الصحف المدونة :

ذكرنا فى الفصل السابق أحد تشكيكات المستشرق المجرى جولد زيهر، (*) فقد أقر بكون المسلمين قد بدأ تدوينهم للحديث في عصر مبكر وذكر وجود العديد من الصحف التى سجل فيها بعض الصحابة أحاديث مرفوعة للنبى صلى الله عليه وسلم، وقال رأيه الذى مفاده أن تلكم الصحف المذكورة، لم يعد لها وجود الآن، بدليل عدم وجود أصولها.

أقول إن مرد هذه الشبهة – إذا أحسنا الظن بصحابها – يعود إلى قلة اطلاعه على المخطوطات التراثية، وكتب السنن والمسانيد، ذلك أنه لو كلف نفسه مطالعة مسند الإمام أحمد وصحيح البخارى مثلا، لوجد ما زعم ضياعه مثبتا مدونا مسندا، كما أن عدم وجود الرقاع الأصلية التى كتبت فيها تلك الأحاديث، لايعنى البتة عدم تدوينها فى غيرها من الكتب والمسانيد والتى ذكرنا منها مثلا صحيح البخارى، ومسند أحمد(**).

(دعوى تأخر التدوين) :

أما ادعاء (موريس بوكاى) وقوله ان السنة لم تكتب إلا بعد انقضاء مدة طويلة من الزمن على وفاة النبى عليه السلام[1]، فهو كلام لاسند له، وهو مردود بثبوت التدوين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم به ودلل عليه (جولدزيهر) نفسه فى كتابه (دراسات محمدية) فالأحاديث التى دونت فى فترة مبكرة حال حياة النبى صلى الله عليه وسلم ثابتة بأسانيدها، كما ذكرنا آنفا نقلها أهل السنن والمسانيد من روايات تلك الصحف التى أجاز النبى عليه كتابتها، ولا ننكر محدوديتها كمياً.

وممن تبنى رأى بوكاى عدد من الباحثين المسلمين غير المتعمقين فى علوم الحديث والنقل كالأستاذ إبراهيم فوزى فى كتابه تدوين السنة وغيره كثير.

(*) أورد شبهته هذه فى كتابه (دراسات محمدية) الفصل الأول (P 10-12) وانظر علوم الحديث ومصطلحه د : صبحى الصالح.

(**) اتى أحمد بصحيفة أبى هريرة كاملة فى مسنده (الجزء الثانى ص 312 – 318).

(1) الدين والمجتمع العربى – ص 545.

حين يُجزم فى غير مكان بأن السنة بقيت طيلة القرن الأول لم يدون منها شئ. وننبه في هذا المقام، إلى أن ما تمت كتابته فى عهد النبى عليه السلام وقبل القرن الثانى الهجرى كثيرخلافا للرأى السائد عند كثير من الدارسين، وفى هذا يقول الشيخ (أبو الحسن الندوى): «وقد يزيد ما حفظ فى الكتب والدفاتر، كتابة وتحريرا فى العصر النبوى وفى عصر الصحابة - رضى الله عنهم - على 10.000 -حديث (عشرة آلاف) إذا جمعت صحف ومجاميع أبى هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله وعلى، وابن عباس - رضى الله عنهم- فيمكن إن يقال إن ما ثبت من الأحاديث الصحاح واحتوت عليه مجاميعها، ومسانيدها، قد كتب ودوِّن فى عصر النبوة وفى عصر الصحابة قبل أن يدون الموطأ والصحاح بكثير»[1].

وقد شاع عند الكثير ما قال البحاثة (موريس بوكاى) من تأخر التدوين عن عهد النبى عليه السلام وصحابته، ومرد هذا الوهم - كما يقول: (أبو الحسن الندوى) فى كتابه (رجال الفكر والدعوة) يعود لأسباب منها :

1 - أن عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر مدونى الحديث فى القرن الثانى، ولايعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كتب فى القرن الأول المهجرى.

2 - أن المحدثين يذكرون عدد الأحاديث الضخم الهائل الذى لا يتصور أن يكون قد جاء من هذه المجاميع الصغيرة التى كتبت فى القرن الأول الهجرى، مع أن عدد الأحاديث الصحاح غير المتكرر المتجردة من المتابعات والشواهد لا يزال قليلا[2].

اتهام الفقهاء باختلاق الأسانيد:

هذه القضية جاءت بوجه مزدوج ذلك أنها حملت بين طياتها، شبهة واتهاماً، فى آن معًا. نعم هذا ما انطوى عليه كلام بعض المستشرقين ومنهم الإيطالى (كايتانى) والألمانى (شاخت) الذى شاخت كثير من أفكاره وشبهاته وآن لها أن

---

(1) عبد الحليم محمود - القرآن والنبى، ص 369.

(2) نفسه، ص 369.

تموت ومفاد هذه الشبهة مزدوجة الهدف - كما ألمحنا آنفا - أن القسم الأعظم من الأسانيد الحديثية قد اختلقه المحدثون، والفقهاء، فى فترة متأخرة يحددها (كايتانى) بنهاية القرن الثانى أو الثالث الهجرى.

وعند ما تكلم شاخت فى هذه المسألة(*) وأبدى رأيه هذا استشهد بأسانيد وردت مرسلة أو منقطعة فى موطأ مالك ورسالة (**) الشافعى، ثم وردت فى كتب السنن التالية مسندة متصلة، مما دل عنده على اختلاق الأقسام العليا من الأسانيد، واتهم أرباب المذاهب بوضعها فهنا يتهم الفقهاء باختلاق الأسانيد اتباعا للهوى، ورغبة فى أن ترجع آراؤهم لأصل قوى معتمد، فى سياق الصراع المذهبى.

ومرد هذا الاتهام، سوء الفهم لدقائق علم الحديث والجهل بتعدد طرق الحديث الواحد، والتى قد يكون بعضها مرسلا وبعضها مسندا وهى لحديث واحد تعددت طرقه، فمجيئ الحديث مرة مرسلا وأخرى مسندا متصلا لايقطع بوضعها، ولا بإكمال أسانيدها فى فترة متأخرة كما زعم شاخت. فقد يروى العالم الحديث الواحد مرة بإسناد متصل وأخرى بإرسال، أو انقطاع، للاختصار، أو النسيان وهذا لايعنى... عدم وقوع الخطأ فى الأسانيد بزيادة رجل فيها أو تبدل اسم آخر، بل ووضع أسانيد كاملة لأحاديث موضوعة، مما بينته كتب مصطلح الحديث، ولكن إطلاق القول باختلاق الأسانيد المتصلة، مجازفة كبيرة لاتقل عما فى اتهام المذاهب الفقهية بوضع هذه الأسانيد المتصلة من مجازفة[1].

(*) زعم كايتانى، فى حولياته، أن الاسناد جاء من بيئة مثقفة وليس من داخل الصحارى ومن الصحابة والتابعين المتوحشين والجهلة والعصاة - على حد تعبيره السقيم - وللمزيد انظر - ترجمة صديق بشير نصر لمقدمة الحوليات.

(**) أى (كتاب الرسالة) للإمام الشافعى.

(1) ساسى الحاج (الظاهرة الاستشراقية...) 2/ ص 596، والاستاذ إبراهيم فوزى فى كتابه تدوين السنة يقول «لكن أصحاب المذاهب الأربعة أسندوا إلى النبى أحاديث نسخت أحكام القرآن» فى معرض اشارته لأحكام المواريث. ولعل أكبر هجمة شهدها التاريخ الإسلامى على الفقهاء قادها الصادق النيهوم فى مقالاته العديدة فى مجلة الناقد، حيث قصر عن بلوغ ما قاله أعتى المستشرقين.

ولما أغـفل شاخت وأضـرابه هذه المعطيات الحديثية مما انطوى عليه علم مصطلح وأصول الحديث، جاءت أحكامهم على غير هدى ولابصيرة، فكان مآلها القذف بها فى مزبلة الشبهات المردودة، التى لا أساس على علم أقيم لها، ولا دليل يسندها، وكل ما كانت هذه حالته، لم يصمد أمام البحث والتدقيق العلمى، بله المناقشات العارضة.

كل هذا نقوله مع تسليمنا بأن التاريخ الفقهى الإسلامى لم يخلُ فى بعض أماكنه، وأزمانه من أمثالِ فقهاءَ اتخذوا الوضع والكذب على النبى مؤونه وتجارة .بزاد من العصبية المذهبية، ورقة الدين.

دعوى تأخر الاهتمام بالأسانيد:

هذه دعوى، أخرى لم تقم - كمثيلاتها - على أساس ولا دليل يعضدها، وهى ما ذكره وقرره جولدزيهر وغيره من المستشرقين، المهتمين بالبحث فى تاريخ الحديث النبوى، من أن الاهتمام بأسانيد الأحاديث جاء متأخرا عن العصر الأول للإسلام وتابعه (Horvitz) فى دعواه وقال بأن بحث الأسانيد تأخر إلى ما بعد سنة 75 هـ، وحدد جيل الأمام الزهرى، بأنه أول العهد بالاهتمام بأسانيد الأحاديث[1]

ويكفى لدحض هذه الدعوى، بعض البحث فى تاريخ السنة والحديث، ليظهر جليا أن الاهتمام بالإسناد ودراسة أحوال الناقلين له «قد بدأ منذ زمن مبكر، بل إنه ابتدأ بعد الفتنة التى أدت إلى اغتيال الخلفية عثمان؛ فظهرت الأهواء السياسية المتعارضة التى أخذت تضع الأحاديث لتدعم مركزها، وأفكارها الأمر الذى حدا بالعلماء إلى التثبت من مصادر الرواة والسؤال عن الرجال وقد كان السؤال عن الإسناد فى جيل التابعين غير مرغوب فيه عند بعض أهل العلم إلا أنه بعد ذلك أصبح التشديد على الإسناد والإلحاح فى طلبه ضرورة حتمية أملاها انتشارالوضع (الذى تفشّى آنذاك) ... قال ابن سيرين : (إن الناس لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم »[2] ومن ثم يظهر أن التشديد فى أمر الإسناد بدأ مبكرا، مع

(1) انظر (الظاهرة الاستشراقية...) 589/2.
(2) نفسه ص 590/2.

ظهور الفتنة الأولى هذه التى ذكرها ابن سيرين وهى فتنة مقتل عثمان وقد وهِمَ (شاخت) وأُلبس عليه عند ما أنكر نسبه هذه المقولة - آنفة الذكر- لابن سيرين، بانيا إنكاره هذا على أساس هو أن ابن سيرين قد توفى سنة (110 هـ) وأن الفتنة وقعت سنة 126هـ قاصدا بالفتنة كما قال: فتنة الوليد بن يزيد سنة 126هـ وكأن التاريخ الإسلامى لم يشهد قبلها فتناً، أتراه لم يسمع بأمر الفتنة الكبرى بين سيدنا على ومعاوية؟ ومن قبلها فتنة اغتيال عثمان ؟

الأحاديث الآمرة بالتدوين، والناهية عنه وتعارضهما:

جاءت أحاديث متناولة قضية كتابه الأحاديث: بعضها، ينهى عن الكتابة وبعضها يجيز ذلك، وهذا أمر طبعى - أن ترد آثار ظاهرها التعارض - فى تاريخ الحديث والسنة، ومعالجة لهذا المظهر الذى قد يسبب لبسا لكثير من البحاث والدارسين، وضع أهل علم الأصول منهجا وطريقا للخروج من هذا الفج، وذلك بوضع قاعدة لدفع تعارض ما يتوهم تعارضه من نصوص(*) أو يثبت تعارضه وذلك باتباع خطوات عدة تؤدى لفهم صحيح وسليم لما ظاهره التعارض وهذه الخطوات هى 1 - عملية التوفيق والجمع 2 - عملية الترجيح 3 - القول بالنسخ إن علم التاريخ (**) آخذين القاعدة. القائلة: بأن الحكم، يدور مع علته وجوداً وعدماً، فإن وجدت العلة ثبت الحكم، وإن انتفت، انتفى الحكم. وهى من أشهر القواعد الأصولية، وأوضحها.

نعود لرأى بعض المستشرقين فى قضية تعارض الآثار فى هذا المقام - أى التدوين وعدمه فنجد أن (جولدزيهر) ومن بعده الباحثة (روث مكنسون)، فيرجعانها إلى دافع غرضى، ويفسران هذه القضية بشكل سلبى لايتسم بالصفة العلمية، فى تقديرى، ذلك حين فسرا هذه الظاهرة بأنها أثر من آثار تسابق أهل الحديث وأهل الرأى، فى تثبيت موقف كل منهما فهؤلاء - أهل الحديث - يدعون ويختلقون الأحاديث التى تأمر بالتدوين للسنة وأولئك - أهل الرأى - يخترعون أحاديث تنهى

(*) كان الإمام محمد ابن خزيمة يقول : لاأعرف أنه روى عن النبى عليه السلام، حديثان بإسنادين صحيحين متضادين فمن كان عنده فليأتنى لأؤلف بينهما. ولكنا كثيرا ما نرى التكلف جليا فى محاولات التوفيق هذه.

(**) للتوسع فى هذه الطرق : ينظر (مقدمه ابن الصلاح) وتعليق زين الدين العراقى - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت 1993 - ط2 - ص 271 - 272.

عن ذلك. كما زعم الزاعمون، أى أن هذه القضية هى صورة للنزاع المنهجى بين المدرستين، وهذا الفهم مردود على أصحابه لإمكانية التوفيق بين هذه الأحاديث التى زعم أن الطائفتين اختلقتاها وذلك عن طريق المنهج الأصولى العلمى المتبع فى الدراسات الإسلامية، فى مثل هذه المواقف، وقد أشرنا لمعالمه آنفا.

فمن أهل العلم من قال بأن الأحاديث الآمرة بالتدوين قد نسخت، الناهية عنه، لتقدم هذه الأخيرة تاريخياً، وهو قول وجيه عند مجيزى النسخ.

ويمكن سلك طريق أيسر وهو تطبيق للقاعدة سالفة الذكر وهى قول علماء الأصول بدوران الحكم مع علته وجودا وعدما. فلما علم أن سبب وعلة النهى عن التدوين كان خوف اختلاط ما يمكن أن يدون من السنة بما دوّن من قرآن، وكذا مخافة انشغال الناس بمدونات السنة آنذاك – لو دونت – عن نصوص القرآن، ولما أن زال سبب النهى وعلته، بحفظ نصوص القرآن، وتميز خصائصه وتعبيراته وعدم خشية التباس أسلوبه المميز بالأحاديث؛ جاء الإذن بجواز التدوين، فليس ثمة تعارض فى الوقع بين النصوص الناهية والآمرة المجيزة (*) ومما يعضد رد هذه الرأى ما ثبت من أن «هناك من أهل الرأى من أقر كتابة الحديث كحماد بن سلمة، والليث بن سعد (وغيرهما) ومن المحدثين من كره الكتابة (كابن علية)، و(هشيم بن بشير) (وغيرهما) ومن هنا نفهم أن النهى عن تقييد الحديث فيما وردمن أحاديث، لا يعارض إباحته بعد، وتعارض الآثار هنا ليس انعكاسا للصراع الفكرى بين مدرستى الرأى وأهل الحديث » [1] كما زعم جولدزيهر ومن نحى نحوه.

(*) كقوله عليه السلام (من كتب عنى شيئا فليمحه) وكما ورد (قيدوا العلم بأيمانكم) وإذنه لابن عمر وأبى شاة بالكتابه.

(1) الظاهرة الاستشراقية ... 628/2، وانظر – علوم الحديث ومصطلحة لصبحى الصالح ص 34 وانظر الرأى المخالف لهما عند إبراهيم فوزى (تدوين السنة) عن دار رياض الريس ط 2، ص 37 وما بعدها.

المبحث الرابع

الرد على طروحهم في السيرة:

حتى عهد قريب فى بلاد الغرب لم يخضع التألف فى سيرةمحمد، لما يخضع له التأليف عادة هناك من معايير وموازين أكاديمية ومناهج علمية حيث يبدأ الموضوع على شكل نقطة أو نقاط صغيرة ثم لاتلبث بفضل البحث والدراسة أن تنكشف غوامضه وترتسم له أبعاد جديدة وتتسع حدوده لكن سيرة محمد فى الغرب ظلت قرونا مرتعا للمباراة فى التعصب والكراهية[1] ومن هذا المنهل غير الصافى نجد كثرين ينهلون ويمتاحون ممن هم أهل رحم محمد نفسه ومن أبناء جلدته للأسف.

ثمة آراء كثيرة، تبناها المستشرقون فى مجال السيرة النبوية لا تكاد تباين ما قرره، أهل السيرة، ومدونوا المغازى الإسلامية كابن هشام وابن حبان، وأضرابهما من أهل السيرة ممن وثقوا مادونوا، وأسندوا ما سطروا، حتى اكتسبت كتاباتهم، وتأريخاتهم الشرعية التاريخية، التى أهلتها للقبول، على الرغم مما قد يشوبها من بعض أوجه النقص والهنات التى ما تخلوا منها كتابات بشر، فليس ثمة كتاب إلا واستدرك عليه – ماخلا كتاب الله تعالى– ولاكاتب إلا وتعقب فى بعض ما كتب، وليس هذا من قبيل النقص البته، لأن الخطأ والغفلة من الأمور التى لا يخلو من الاتصاف بها بشر، ولايعصم من اجتراحها إنسان.

لكن الأمرمختلف تماما مع من جاءت أخطاؤه، من سبيل لم تفرضه طبيعة النقص الإنسانى وعدم العصمة البشرية، ومن ذلك الأخطاء التى مردها: عدم التسليم بالمسلّمات ومخالفة ما ثبت بغير خلاف، ونكران ما تحقق تواتره، والتمسك بما ثبت ضعفه.

---

(1) محمد عبد الرحمن مرحبا : العقل العربى فى مخاضه الكبير ج 2 ص 210.

من هذا القبيل جاءت كتابات كثير من المستشرقين، ونتائج غير واحد ممن تصدوا للبحث في السيرة الإسلامية والنبوية، والأمثلة كثيرة لنا أن نذكر منها ما قرره وتبناه المستشرق الروسي (تولستوف) من أن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ماهي لا شخصية أسطورية[1] لا وجود لها على أرض الواقع. ولايخفاك مافي هذا من تنكب للواقع، منقطع النظير، وما فيه من رد للحقائق التاريخية المسلم بها عند جمهرة المؤرخين باختلاف مشاربهم ممن أثبت بلا ريب وجود النبي محمد عليه السلام حتى إن هذا الأمر، مما قد تواتر، بحيث لا سبيل لرده إلا ممن اتبع هواه المغرض، أو لمن ليس له أدنى إطلاع على وقائع وأحداث التاريخ، لذا قال المستشرق (إميل درمنجهام) «لا يوجد واحد في الدنيا أمكنه أن ينكر وجود محمد، ولكن وجد من ينكرون بعض ما جاء في ترجمة محمد في الكتب العربية»[2]. كذلك قال (رينان) عن حياة النبي أنها معروفة كحياة أي زعم من زعماء الإصلاح في القرن السادس عشر[3] والحق أن من حاله التأريخي مثل (تولستوف) ليس له أن يقحم نفسه في مجالات التاريخ وإن حدث أن كتب مثل هذا في هذا المجال، فلاريب في عقم ما سينتج عما سيدونه، لأنها كتابات لا أساس لها يعضدها، بله معارضتها لما استند لأسس وأسانيد لا مجال لردها بالقياس العلمي التاريخي، فهذا من قبيل ما كان فساده يغني عن إفساده كما يقولون.

وعند ما تعرض المستشرقون لتحديد سنة ميلاد المصطفى عليه السلام لم يتفقوا على رأي محدد كما علمنا – وليس في هذا عيب ولا مأخذ فمن الطبَعي أن تختلف وجهات النظر والآراء في مثل هذه القضايا والجزئيات التاريخية. مع التذكير بأن مثل هذه الاختلافات في سنة المولد الشريف، لم تخل منها ساحة البحث الإسلامي في السيرة أيضا فثم خلاف أيضا بين علماء المسلمين في تحديد سنة المولد.

---

(1) الظاهرة الاستشراقية... : 2/59.

(2) انظر (حاضر العالم الإسلامي) لوثروب ستوارد 1/44.

(3) انظر (دراسات في التاريخ الديني) نقلا عن (موجز تاريخ الأديان) لفيلسان شالي، ص 267.

قبل البعثة

يؤخذ على كثير من المستشرقين الأُلى كتبوا فى مرحلة ما قبل البعثة فى مجال السيرة النبوية، ما انتهجوه من سبل فى مضمار كتاباتهم ثم، حيث اعتمد كثير منهما (كرودنسون) و(وات) على المنهج الشكى فى مبالغة ظاهرها أنها مغرضة، فجاؤوا بأقوال وآراء شككوا من خلالها فيما ثبت وصح تاريخياً، وتواتر معضدا بالأسانيد. ومن ذلك التشكيك فى أكثر الحوادث التى وقعت فى زمن طفولة النبى صلى الله عليه وسلم كقصة سفره مع عمه والتقائه الراهب بحيرى، نعم لقد امتلأت السيرة بالأخبار الواهية لكن من المبالغة أن يقرر الدكتور (محمد مرحبا) -مثلا- أن كل ماورد عن حياته قبل سن الأربعين مشكوك فى صحته التاريخية فهو إلى العجائب والأساطير أقرب[1]

ولا يخفى أن هذا السبيل التناولى لاجدوى منه فى المجال التاريخى بالذات، ذلك أن وضع الضوابط والشروط الواجب توفرها فى الحدث والواقعة التاريخية يكسبانها شرعية القبول كشرط تواتر النقل وصحة السند، ووفرة القرائن المرجحة، وغير ذلك، فلا مجال – فى حال تحقق تلك الضوابط والشروط لإنكار ما نقل، أو التشكيك فيه تشكيكاً إنكاريا، نعم لانقول إن كل ما نقل بالصفة المذكورة آنفا مما توفرت فيه شروط القبول، سيكون قطعى الثبوت بل نسلّم أنه فى أغلب أحواله يكون فقط، مفيدا للعلم الظنى لا اليقينى إلا بتوفر شرط التواتر.

لكن يبقى هذا المنهج التشكيكى أقل نصيبا من السلبية إذا ما قورن بالتنكّب الذى اتسم به منهج بعض المستشرقين الذى لا نرى مبالغة ولا شططا فى تسميته بمنهج المدلسين.

فما معنى أن يقرر، باحث ما، ويجزم بأمور لا وجود لها وأحداث لاحقيقة لها على رقعة البسيطة، وينسبها زورا وبهتانا، لبعض الشخصيات، وكما سنرى فيما بعد من صنيع (كايتانى) مع بعض الصحابة ومن صنيع (لامانس) و(كولى) وأضرابهما مع النبى عليه السلام.

---

(1) الفكر العربى فى مخاضه الكبير – 2/223.

فلا أراني مترددا في وصف من كان هذا نهجه بأنه مدلس، مكذيب، وأن آراءه وبحوثه لا مكانة لها في ساحة البحث الموضوعي والدراسة العلمية.

ومن ذلك ما قرره بعض المستشرقين من أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته تحديداً كان مريضاً، ورديئ السمعه، وقليل الشأن في قومه، وطامعا في أموال زوجه الأولى خديجة إلى غير هذا من الافتراءات، وإلا فما معنى كون الرجل رديئ السمعة في قوم منحوه لقب: الصادق الأمين، وما معنى كونه رديئ السمعة فيمن ارتضوه حكما لهم في واحدة من أهم أحداث وقتها، وهي قضية بناء الكعبة ووضع الحجر الأسود، كما هو ثابت في السيرة وما معنى كون الرجل طامعا في مال امرأة، لم يقدم على الزواج بها إلا بعد أن بادرت هي برغبتها، وما معنى كون الرجل طامعا في امرأة، تاجر لها ولم تشهد عليه سوءً فيما يتعلق بأموالها وإدارة تجارتها، كل هذا، ثابت في كتب السيرة بأسانيده، مما لا يسعنا في هذا المقام إيراده.

بعد البعثة

عندما كتب المستشرقون في السيرة، إبان فتره ما بعد البعثة لم تخل كتابات كثير منهم من إيراد شبهٍ، وإزجاء تلبيسات ضمن ما كتبوا، ومن أشهرتلكم الشبهات المثارة، قصة – آيات الغرانيق – التي نسبت للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل إنه تكلم بها في صدد دعوته لكبراء قريش للإسلام، بعد أن القاها الشيطان على لسانه ولم ينتبه إلا عندما نبهه جبريل إلى ما كان[1] وهو يقرأ سورة النجم.

والحق عدم ثبوت هذه القصة، لعدم توفر سند صحيح لها فالسند الذي سيقت به، أثبت كثير من الحفاظ ضعفه(*) وبالتالي عدم موثوقية ما قام عليه، وكل ما كانت هذه حاله اطّرح ولم يجزْ الاعتماد عليه. ومن أفضل ما كتب في دحض هذه الفرية وروايتها ما سطره الشيخ (محمد ناصر الدين الألباني) في رسالته الموسومه بـ (نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق).

(1) محمد أبو شهبة (دفاع عن السنة) ص 319.

(*) في أدلة ابطال هذه القصة عقلا وسندا، انظر كتاب (السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة) ج1/ ص 375 لمحمد أبو شهبه ونصب المجانيق للالباني. ولم يردها الحافظ ابن حجر وحسنها للاسناد الذي رآه هووغيره. وهذا من مثالات إهمال بعض المحدثين الاعتماد على نقد المتن وانجرارهم وراء الأسانيد بلا بصيرة، حتى لوأضروا بدينهم من حيث لايبصرون.

والوجه الثانى لرد هذه الفرية أنه، لو ثبتت وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك الهراء فعلا، فإنه سيناقض ما جاء به فى رسالته الإسلامية التوحيدية، ومثل هذا التناقض لا يقع فيه غفلة الناس، فما بالك بمحمد، ذلك العبقرى الألمعى صلى الله عليه وسلم.

وقمينٌ بالذكر هنا أن المستشرق الفرنسى (بلاشير) قد بلغ من عدم أمانته وخيانته للعلم، أنه دس هذا الافتراء فى (فى النص القرآنى عند ترجمته سورة النجم، وهذا مع كونه لا أمانة فيه، هو كذب صراح على الله ودس رخيص مكشوف من بلاشير[1].

وفيما يتعلق بافتراء (كولى) فى كتابه (البحث عن الدين الحق) حين ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم، سمح لأتباعه بعد أن وضع أيديهم السيف بالفجور والسلب، وكذا قول الدكتور (غلوور) فى كتابه (تقدم التبشير العالمى): إن النبى عليه قد أرشد أتباعه إلى أن يقتلوا كل من يرفض اتباعهم ويبعدهم عن طريقهم[2]

فمن سوء حظ هؤلاء أن كل الأحداث والروايات التاريخية الثابتة، لاتشهد لمزاعمهم بشئ بل على العكس، فكل ماورد ثمَّ مفند لمزاعمهم، ذلك أنه وباستقراء الأحداث العسكرية التى وقعت فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، تبين بلا مراء، نتيجة وحقيقية واحدة هى أن المسلمين لم يقدموا على الحرب إلا فى موقف المضطر[3] ولم يحدث أن بادروا معتدين. وهم عندما حملوا السيف وخاضوا المعارك تحت إمرة نبيهم عليه السلام كانوا يسيرون وينتهجون ما يوصيهم به من الرفق والمحافظة على الأخلاق الإسلامية التى تدعوا إلى اجتناب الأطفال والنساء والشيوخ، وعدم اعتبارهم محاربين، والتاريخ خير شاهد على ذلك. وقد اعترف بذلك وأكّده غير واحد من المستشرقين المنصفين مثل روم لاندو، وغوستاف لوبون، وغيرهما.

ومما ورد دليلا وشاهدا لهذا ما خرجه البيهقى من رواية أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً،

(1) (دفاع عن السنة) ص 319.
(2) الظاهرة الاستشراقية... : 2/ 11.
(3) ظاهرة انتشار الإسلام... محمد الزيادى ص 189.

ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين).

وعن ابن عباس (في سنن أبى داود) قال كان رسول الله ، إذا بعث جيوشه قال: (اخرجوا باسم الله تقاتلون فى سبيله من كفر بالله. لا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع)[1].

هذا ما ثبت من توجيهات النبوة، وطرائق قتال المسلمين، لا تصمد لِها مزاعم وافتراءات لاتقوم على أساس ولاسند، ويمثل هذه الروح الإسلامية التى لم تعرف فى سابق الأمم، ولا حقها، بمثل هذه الروح كانت المعارك تجرى والمغازى تدور، وكانت النتائج ملائمة لمرجعياتها ومن ذلك أن شهداء المسلمين وقتلاهم طوال فترة البعثة المحمدية أى طول ثلاثة وعشرين سنة، لم يتجاوز ثلاثمائة وخمسة وسبعين رجلا من العرب[2] ويكاد الأمر لا يصدق فهو أشبه بالخيال عندنا فى هذا العصر.

وتقول المستشرقة (لورافيشيا فاغليرى) فى كتابها (دفاع عن الاسلام) «ذلك المثل الأعلى الذى أراد محمد ان يحققه بأى ثمن فقاتل قتال الرجل الوديع ضد الغطرسة والطغيان أو قل قتال الرجل الذى لا يرغب فى الحرب، ولكنه مكره على منازلة أولئك الذين أصروا على تدميره بالقوة»[3].

هذا هو الواقع الذى تشهد له الحقائق القواطع، والبراهين السواطع.

الهجرة الصغرى (هجرة الحبشة)

أما فى تناولهم لحادثة الهجرة إلى الحبشة، فوجدناهم- كالعادة - غير مستقرين على رأى فهذا (موير) يسلم بحصول الهجرة الصغرى للحبشة ويرجع أسبابها لما لاقاه المسلمون من عنت من جانب قريش، واضطهاد[4] وهو- أى موير بهذا لا يختلف مع ما قرره أهل السيرة المسلمون.

---

(1) نفسه ص 189.

(2) شوقى ابو خليل (الاسلام فى قفص الاتهام) ص 91 نقلا عن ظاهرة انتشار الاسلام لمحمد الزيادى ص 190.

(3) (دفاع عن الاسلام) ترجمة منير بعلبكى، نقلا عن ظاهرة انتشار الاسلام ص 191.

(4) الظاهرة الاستشراقية، 2/145.

أما (مونتجمرى وات) فنجده لايبارح منهجه التشكيكى وقد أسلفنا الكلام على هذا الضرب من التناول وكذا الأمر مع جاء به (كايتانى) الذى اشتط فى هذه القضية ونفى حصول الهجرتين للحبشة وهذا الرأى لا يصلح معارضا لما ثبت حدوثه تاريخيا كما أسلفنا.

العهد المدنى

إلى جانب كثير من البحوث الاستشراقية المتسمة بالموضوعية، فى هذه الحقبة من التاريخ الإسلامى والسيرة، تعالت أصوات، بالادعاءات والافتراءات المشفوعة بالسباب السافر، من ذلك وصف النبى صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر كما قال (ساو ثرن) ووصف النظام الإسلامى آنذاك تحت قيادة النبى عليه السلام بأنه نظام منحل أخلاقيا، متساهل فى أقدس قوانين الأخلاق، يسمح بالفجور[1].

وكذا وصفه بأنه نظام دكتاتورى يحكمه حاكم مطلق، سفاح لا يتورع عن قتل من يقف فى طريقه، ويأمر اتباعه بذلك[2] كما زعم وافترى (غلوور).

والواقع أن كل هذا، لاشاهد له، ولاتكأة تسنده بل هو تمويه وتدليس للواقع، فلم يثبت تاريخياً من كل هذه الأوصاف، وصف واحد بتاتاً، وعلى من زعم ذلك أن يدلل على أقواله ويأتى لها بما يسندها وأنى له ذلك.

فنحن مثلا لانجد، فى كل ما وصلنا من أحداث وآثار، ما يدل على تحقيق صفه السحر فى النبى محمد صلى الله عليه وسلم كما يدعى (ساو ثرن)[3] بل على العكس فجمهور علماء المسلمين يوكدون أن النبى قد سحر – وكان أثره طفيفاً مدة من الزمن، حتى أنزل الله تعالى المعوذات فشفى بعد أن رقى نفسه كما هو ثابت فى صحيح البخارى[4] ولا مجال للرد على من أنكر قصة سحره فى هذا المقام – وكيف يكون ساحرا وهو القائل (اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر)[5].

(1) مصطفى المسلاتى، الاستشراق السياسى... ص 35.
(2) نفسه، ص 35.
(3) انظر الاستشراق السياسى ... ص 35.
(4) انظر الحديث كاملا فى صحيح البخارى مع فتح البارى – ح 10 ص 221 – 222 الحديث رقم (5763) وص 232 ص 233 ومابعد الحديث رقم (5765) ورقم (5766).
(5) نفسه 232/10 (الحديث رقم 5704).

أما عن وصف النظام الإسلامي في ذلك العهد بالانحلال والفجور فهذا – لعمر الله – من أعظم ما اجترح من مفتريات، فكيف يقوم نظام على مثل هذا والقرآن يقرر قواعد منها (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي...) .

وكيف يقوم نظام مثل هذا وهو لايبيح أيسر خوارم الحياء فيحرم التبرج والسفور على النساء ويحرم النظرة المغرضة تحديدا ويضع دستوره، حدوداً قامعة لخوارم العفة كالزنا، وقذف المحصنات وغير ذلك، فلا يعقل أبداً أن تجتمع مثل هذه التشريعات مع مارمي به الإسلام.

لايقل عن هذه الفرية قولهم إن النبي عليه السلام كان حاكما سفاحا آمرا بالنهب، يسير في حكمه على هواه وشهواته.

لايمكن التسليم بهذا البتة، لأنه لو صدق عليه لكان مخالفا لما جاء به من عند ربه حيث ورد في القرآن الأمر بالشورى، وعدم احتكار الحكم في قوله تعالى (وشاورهم في الأمر) ولامراء عندنا في أنه عليه السلام لايقدم على أمر إلا ويكون بإذن من ربه، لاعن هوى كما زعم المغرضون قال تعالى (إن اتبع إلا ما يوحى إلي) .

والسيرة ملأى بالمواقف التي تبين مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم، لأصحابه في غير موقف ومن ذلك أخذه برأي الصحابي الذي اقترح تغيير الموقع العسكري للمسلمين في غزوة بدر، ومن ذلك مشورته لأصحابه، في أمر أسرى قريش بعد غزوة بدر، وغير ذلك كثير، مما هو في بطون السير والمغازي مثبت مسند، فهل يمكن لمن كانت هذه حاله، أن يكون دكتاتورياً حاكما بهواه، مستبداً ؟.

شخصية النبي عليه السلام :

تعد الكتابات الاستشراقية عن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم في وجهها اللاموضوعي المغرض، من أدنى ما دونوه قيمة، ذلك أنه – أي تناولهم للشخصية النبوية – جاء على شكل افتراءات منقطعة النظير، لا أساس لها بأي حال ومن أي جهة، فهي أولى بوصفنا لها بالأكاذيب والشتائم من وصفنا لها بالآراء.

ومن ذلك ما يقرره المستشرق (بدرودى الفونتو) حين يصف، النبى عليه السلام بأنه غير قادر على التنبؤ، وأن – القرآن – غير معزز بالمعجزات، وأنه شرير وكاذب، وشهوانى متعجرف.

إن كل هذه الأوصاف ماهى إلا عكس تام، لما كان النبى صلى الله عليه وسلم متصفا به فعلى سبيل المثال قوله بأنه غير قادر على التنبؤ هذا القول فى الوقع ليس عيبا ولامنقصة أو ليس من صفات الرسل ومردود بما ثبت أن تنبأ به –عليه السلام – ووقع فعلا كما هو ثابت موثق فى كتب السيرة وكتب الحديث والأمثلة لاتعد كثرةً وحسبنا مثالات نزجيها فى هذا المقام فقد قال فى الحديث الصحيح متنبئا بظهور صنفين من أهل النار لم يرهما فى حياته وذكر منهما «نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، على رؤوسهن كأسنمة البخت» ولا يخفى فى هذا العصر تحقق هذه الأوصاف فى أكثر من المتبرجات غير المتسترات، ممن ينطبق عليهن وصف الحديث تماماً، والمثال الثانى قوله عليه السلام (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعاً بذراع...)[1].

وقد تحقق هذا فى عصرنا كما هو متمثل فى التقليد الذى استشرى بين أبناء المسلمين خاصة للغرب، وعالمه فى كل المجالات بغير استثناء ولم يكن ذلك وقت قول الحديث. كذلك خاطب عماراً بن ياسر فقال له (ياعمار تقتلك الفئة الباغية) وحدث أن مات عمار على يد الفئة التى بغت على سيدنا على بقيادة معاوية.

أما عن وصفهم القرآن بأنه غير معزز بمعجزات، فهذا من أبطل الباطل ذلك أن القرآن فضلا عن كونه معجزة بذاته، فهو محمل بمعجزات لاتعد غزارةً،صنفت فى عدها الكتب، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر إخباره بالغيب، ثم تحققه ومثال ذلك، ما جاء فى سورة الروم ، ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾(*) فقد حدث فعلا أن تحقق هذا الوعد الإلهى وفى حنايا المدة التى وقتها الله سبحانه فى قرآنه المجيد، والتاريخ شاهد على ذلك، فبعد بضع سنوات،

(1) أحمد بن عبد الحليم (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) دار الحديث القاهرة، ص 39.

(*) سورة الروم – الآيات 2-3-4.

من هزيمة الروم أمام الفرس، حدثت بينهما حرب أخرى كانت الغلبة فيها للروم كما أخبر القرآن.

وغير ذلك كثير من صور الأعجاز القرآنى، مما تمتلئ به كتب الأعجاز العلمى وغيرها ولم يكتف (الفونتو) بهذا فزاد النبى صلى الله عليه وسلم صفات أخرى، وهى كونه شريرا وكاذبا، وهذا والحق يقال كلام فساده يغنى عن إفساده، لكنا نذكر بأن هذا الموصوف بهذا الوصف، قد سماه المشركون (الصادق الأمين) وبهذا الوصف عرف طوال حياته ولم يثبت عنه بأى سند ولو ضعيف أنه اقترب ما من شأنه خرم صفه الصدق فيه، وهو الذى عند ما سئل هل يكون المؤمن كذابا قال: «لا يكون المؤمن كذابا». وكلامه فى التحذير والتنفير من هذه الصفة لا يحصر ومن ذلك قوله فيما خرجه البخارى فى صحيحة من رواية أبى هريرة: «من لم يدع قول الزور والعمل به،والجهل فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه شرابه»[1]، فبأى معيار يكون قائل هذا الكلام كذابا؟!.

وكيف يكون شريرا من لم يثبت عنه خصلة واحده من خصال الشر قط، وهو الذى وصفته عائشة – رضى الله عنها – بقولها فى الحديث الذى خرجه الإمام أحمد فى مسنده: «ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما له قط، ولا أمرأة له قط، ولا ضرب بيده إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شئ فانتقمه من صاحبه، إلا أن تنتهك محارم الله عز وجل، وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر، إلا أخذ بأيسرها إلا أن يكون مأثما، فإن كان مأثما كان أبعد الناس عنه»[2]. والذى قال عنه جابر بن عبدا لله: «ما سئل الرسول عليه السلام شيئا قط فقال: لا»[3] ومن الافتراءات التى طلع علينا بها بعض المستشرقين، مانجده فى كتابات (لاما نس اليسوعى) هذا الذى عرف بعدائه للإسلام بشكل منقطع النظير، والذى تعد كتاباته من شر ما كتب على الإطلاق، فمما أزجاه (لاما نس) من أوصاف للنبى عليه

(1) صحيح البخارى – مع فتح البارى لابن حجر 10/ 473، الحديث رقم (6057).
(2) الامام أحمد بن حنبل (المسند) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (ج 6 ص 31 –32).
(3) أحمد بن حنبل (كتاب الزهد) تحقيق. محمد جلال شرف. دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1981 بيروت.1/ ص 35.

السلام. قوله – أى لاما نس – أن النبى صلى الله عليه وسلم، كان مكثرا من الطعام، والشره والاسترسال فى اللذات البدنية، ولم يكتف (لاما نس) بهذا فزاد معلومة لم يسبق اليها وهى أنه – أى النبى عليه السلام – مات بالبطنه.

فكلام (لاما نس) هذا بالذات، لايباين بأى وجه السباب البذئ المغرض الذى شوهت به أوراق بيضاء وجمعت ثم طبعت، وسميت زورا بالبحوث والدراسات.

والحق الذى نعتقده فى مقابل سفساف (لاما نس) هو أن النبى عليه السلام كان زاهدا فى حياته، مقلاً من الطعام، عازفاً عن شهوات الدنيا وزخارفها وهذا هو ماتشهد له الروايات الموثقة التى تصلح للاعتماد فى التقريرات التاريخية، بخلاف طريقة (لاما نس) وأضرابه المعتمدة على انتقاء أضعف الروايات وأوهى الأسانيد – هذا فى أحسن أحولها – وفى أحايين أخرى على ما تمليه عليهم إسقاطاتهم وحقدهم، على الإسلام ونبيه.

ولنا أن نزجى فى هذا المقام بعض ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى تبيان زهده وعزوفه عن الشهوات الدنيوية تأكيدا لرد كلام (لاما نس) ومن شاكله فى هذا الموضع : فمن ذلك ما خرجه الإمام أحمد فى كتاب الزهد من رواية أنس أنه قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم: والذى نفس محمد بيده ما أمسى فى آل محمد صاع من حب، ولا صاع من تمر.... وعن أنس : أن يهوديا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى خبز شعير وإهالة سنخة[1] فأجابه. وعن عائشة أنها قالت: والله لقد كان يأتى على آل محمد صلى الله عليه وسلم، الشهر وما يختبز فيه....»[2].

فهل هذه حال المترفين؟ أهى حال يمكن لصاحبها أن يموت بالبطة ؟ أم هى حال من عاش شهوانيا عاكفا على الملذات؟.

إن الحقد والإسقاط ينتج أكثر من هذا ويسوغ للمستحيل الظهور، وللمحال الوقوع، ويصف من «لم يشبع من الخبز واللحم»[3] فى صورة الشهوانى الشره كما

(1) الإهالة بكسر الهمز ما أذيب من الإلية والشحم وقيل هى الدسم الجامد، وسنخة بكسر النون وفتح الخاء أى متغيرة الرائحة.
(2) (كتاب الزهد) ج 1 / ص 36 – 37 .
(3) نفسه 42/1.

رأينا من هؤلاء الذين كتبوا، متناسين أنهم يسمون كتاباتهم بعناوين علمية والحق أن لا وشيجة لها بالعلم ولا أهله ما دامت قد حادت عن الجادة وتنكبت للحقائق، وأطّرحت الموضوعية ولم تسر على نهجها.

ومن أوهن ما نسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم، تلكم الرسالة التى حوتها مقاله للأديب والمفكرالفرنسى الشهير (فولتير) فى القرن الثامن عشر، وزعم أن تلك الرسالة هى من النبى صلى الله عليه وسلم مرسلة إلى الزبير بن العوام، وقد أوردناها فى الفصل السابق والتى تبنى المستشرق (رودنسون) نسبتها للنبى عليه السلام، فى مقاله الذى ترجمته الدكتورة زينب رضوان (*) .

فلا يخفى على أى دارس للغة العرب الفصحى وطرائق تعابيرهم، وبخاصة أسلوب محمد عليه السلام، أن نص هذه الرسالة غير متوائم البته مع اعتاده العرب من تعابير، ونظم للكلام فما بالك بأفصح العرب محمد صلى الله عليه وسلم، وبإمكان القارئ أن يعيد قراءة النص ليلحظ ذلك بجلاء !!

ثم إننا إذا نظرنا وحاولنا تقييم هذا الكلام سنجده تجميعاً مكثفاً لأكثر الافتراءات والأكاذيب التى يمكن أن تحاك عن نبى الإسلام، ولوسألنا عن المصدر الذى اخذ منه (فولتير) هذه الرسالة فلم يستطيع أحد أن يقدم وثيقة حقيقية فى هذا[1] .

ومما يدل على أنها رسالة مكذوبة مخالفتها للتاريخ ونعنى بهذا أنه لم يثبت أن كان لمكة حاكم يلى أمرها ويحكمها، فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم.

ثم إنه إذا كان يسر إلى الزبير بحديث لا يريد أن يطلع عليه أحد فكيف كان ذلك وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ، بمعنى أنه لابد أن يكون من كتبها له قد اطلع عليها[2] ومن ثم يظهر بجلاء أنها رسالة مكذوبة، نسبها إلى النبى، شخص لم يحسن الكذب، ولم ينتبه لعلائم ودلائل الوضع المكشوفة فيها.

(*) انظر مجلة الفكر العربى – عدد 32 ص 11 وغريب هذا عن رودنسون المعروف باطلاعه وجدة دراساته.

(1) مجلة الفكر العربى العدد 32 ص 11.

(2) نفسه ص 11.

الرد على ادعاءاتهم على الصحابة :

عندما تكلم المستشرق (كازونوفا) فى كتابة (محمد ونهاية العالم) رجح أن يكون أبو بكر الصديق، قد زاد فى القرآن، واصماه إياه بالتدليس والتحريف ولما لم يورد هذا المستشرق دليلا يعضد به كلامه، ولا حجة يسند بها اتهامه، فقد كلامه هذا اتهاما باطلا ودعوى بغير دليل، ومن ثم فهو مردود عليه لايمكن التسليم به بأى مقياس من المقاييس العلمية والتاريخية. ألم يجد من يصمه بهذه التهمة إلا ابابكر، الذى قيل فيه :

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة — فاذكر أخاك أبابكر بما فعلا.

خير البرية أتقاها وأعدلها — إلا النبىَّ وأوفاها بما حملا. (1)

والأخبار الشاهد على عظمة شأنه وعلو شأوه، لا تخفى فهو ثانى رجالات الإسلام وأول الخلفاء الراشدين، فهو مبرأ من أن يقترف ما اتهم به رضى الله وأمانته وورعه أربى من أن يحتاجا لاستدلال.

ومن المستشرقين الذين لم يسلم الصحابة من افتراءاتهم وسبابهم المستشرق الإيطالى (كايتاتى)، الذى لم يدخر ما توفر له من شتائم وتهم، بل ألقاها على الصحابى عبد الله بن عباس، فوصفه – كما علمنا فى الفصل السابق – أنه كذاب مختلق – مغرور، متلهف على الشهرة والمال ولم يكلف نفسه – أى كايتانى بأن يدلل على كل هذا ؛ لسبب واحد وهو أنه ليس ثمة دليل واحد يقوى ما زعمه وافتراه، بل الأمر على العكس فكل الروايات المسندة الموثقة التى تكلمت عن ابن عباس لم تذكره إلا بحميد الصفات، وحسن الخلال، كيف لا وهو الذى نشأ وتربىّ بين يدى ابن عمه رسول الله صلى عليه وسلم، وهو الذى كان يقول عنه طاووس «ما رأيت أحدا كان أشد تعظيما لحرمات الله من ابن عباس»(2).

---

(1) من شعر حسان بن ثابت – كتاب الزهد لابن حنبل : 17/2.

(2) نفسه 132/2.

والذى صح عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ضمه إلى صدره وقال «اللهم علمه الحكمة»[1] ودعا له يوما فقال : «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل»[2].

والذى تظهر سيرته أنه عاش طوال حياته تقيًا طالبًا للعلم.. فكل هذا لايتفق وافتراءات (كايتانى) تلك التى يعوزها الموضوعية والصدق.

ثم عرج كايتانى على الصحابى - العباس بن عبد المطلب - عم النبى صلى الله عليه وسلم، فأزجى له ما تسير له من سباب وافتراء، فرماه بالانتهازية والخداع وأنه باع نفسه لمعاوية لما قام بخلع الحسن بن على[3] الواقع أننا لاندرى - ولا أحد يدرى - متى تم خلع الحسن بن على، كما ذكر كايتانى ذلك أن الواقع كما هو معلوم عند أهل التاريخ أن الحسن بن على - عليهما السلام - لم يخلع. بل تنحى عن الحكم بإرادته، غير معزول ثم كيف باع نفسه - أى العباس لمعاوية وما وجه ذلك ؟ كل هذا لم يثبت ولا حجة لزاعمه.

أما عن تلك الافتراءات التى حاول (كايتانى) إلصاقها بالعباس - رضى الله عنه - فهى كغيرها، أكاذيب غير موثقة، لاوزن لها بالمقياس العلمى ولا بالتوثيق التاريخى فلم يعلم عن العباس خداع ولا انتهازيه ولا غير ذلك من المناقص التى لا تليق إلا بأراذل الناس، وحاشا كبار الصحابة أن يوصموا بها فالعباس كان قدره عليًا ومحترمًا، فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم، وحتى بعد وفاته - أى النبى عليه السلام احتفظ العباس بعلو قدره فى عهد الخلفاء ولنا أن نزجى صورة تمثل تقديره واحترام أحد الخلفاء الراشدين للعباس وذلك ما حدث مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما قدم العباس ليستسقى للمسلمين، فاجتباه من بين كل من حضر من الصحابة وقدمه عليهم للصلاة داعيا الله بقوله فيما خرجه البخارى من حديث أنس «اللهم أنا نتوسل إليك بعم نبينا»[4].

---

(1) صحيح البخارى مع فتح البارى 7/100.
(2) صحيح مسلم / 4/ 1927.
(3) من قضايا الفكر الاسلامى ص 401.
(4) صحيح البخارى مع فتح البارى 7/77.

وممن لم يسلم من سهام (كايتانى) الصحابى الشهير (أبو هريرة) فاتهمه باختلاق الحديث والكذب، وأنه كذاب بكل معنى الكلمة[1] وسبقه فى هذا القذف (شبر نجر) وغيره، ونرد على هذا بأن السيرة والتاريخ لم يؤكدا صحة مارمى به هذا الصحابى الذى دعا له النبى عليه السلام يوما فقال «اللهم حبب عبيدك هذا (يعنى أبا هريرة) وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين»[2] وكل ماورد فى كتب بعض الباحثين من تجريح له، لم يصح سنده عند التحقيق (*)، وذلك من وجهة نظر علماء فرقة أهل السنة. وكل ماورد من هذا القبيل لم يجمع على صحته بين أهل النقل والتاريخ أى غير موثق بالأسانيد القطعية التى تعضده، فلا يمكن لها بحال – فى سبيل البحث العلمى والتحقيق – أن تنفذ نتيجة ثابتة صادقة أبداً ومن ثم فكل ما كانت هذه حاله فليس جديرا بحق القبول ولا بامتلاك سمة الشرعية العلمية.

والطريقة المثلى الواجب اتباعها فى بحوث السيرة ما أشار إليها المستشرق (درمنغهام) فى كتابه (حياة محمد) حين قال: «إن المنابع الأولى لسيرة محمد: القرآن والسنة، والقرآن هو أوثقها سندا» وقد صدق[3] ومن بعدها تأتى كتب السيرة والمغازى الموثقة بالأسانيد الصحاح.

---

(1) من قضايا الفكر الاسلامى ص 427.

(2) صحيح مسلم 4/1939.

(*) انظر ردود (محمد ابو شبهة) فى كتابه دفاع عن السنة، وردود الفخر الرازى فى كتابه (المحصول).

(3) حاضر الإسلام – 1/ 44.

الفصل الثالث
الظاهرة الاستشراقية / ما لها وما عليها.
نظرة نقدية تقييمية

المبحث الأول
عقم التناول الاستشراقى

لا أخال أحداً ممن درس الظاهرة الاستشراقية بشكل عام، وأثرها وعلاقتها بالدراسات الإسلامية، وبحث ما أنتجوه فى هذا المجال تحديداً، يمكنه أن يحكم على هذا المنهج والتناول الاستشراقى بحكم لا يكون مفاده، أن هذا المنهج بعامة منهج قاصر، غير سليم، ولا أرانى مبالغا إذا قلت انه منهج غير علمى فى عمومه لاسيما فى دراسة مبحث السيرة النبوية المطهرة، الذى كان حقلا واسعا لبذر بذور الشبه.

ولهذا العقم التناولى فى البحوث الاستشراقية أسباب نذكر منها.

السبب الأول /

إن هؤلاء الباحثين إما أن يكونوا ماديين، علمانيين لا يؤمنون بالتصورات الغيبية وبالأفعال اللاإعتيادية ويضعون كل شىء تحت مجهر الحقائق المادية، وإما ان يكونوا من اليهود أو النصارى أو اللادينيين (*) وبالتالى فإنهم لا يؤمنون بالديانة الإسلامية ويشككون فى مصدرها الإلهى، ويعتبرونها على الأقل من الأعمال الإنسانية العظيمة التى لا علاقة لها بالمصدر الآلهى، وهكذا عندما تدرس أفكار وتحاليل هؤلاء الناس فإنك تجدهم يشكون فى العديد من الحوادث والأخبار التاريخية التى رجحت صحتها معظم المصادر الإسلامية، ورأيت كيف أنهم أثاروا الشكوك حول سنة مولد الرسول عليه السلام، وحول (نشأته) ... وحول وجوده أصلا.[1]

(*) انظر نقد روجيه غارودى للاستشراق فى / غارودى والمشكلة الدينية / محسن الميلى ص 200 وما بعدها.

(1) انظر الظاهرة الاستشراقية 214/2.

السبب الثانى /

كثير من الأخطاء واللُبوس التى وقع فيها المستشرقون كان مرجعها ومردها، أن كثيرا منهم كان عند تناوله لقضية ما لا يتوغل فيها ولا يتتبع بدقة كل ما يتعلق بها تأثيرا وتأثرا ممّاله شأن فيها، فلم يصلوا فى كثير من بحوثهم إلى الأعماق، والجذور، ولم يستشفوا ما وراء الظواهر، والألفاظ ولم يتمثلوا حق التمثل البيئة والعصر والملابسات التى أثرت فيها(1).

وهذا مرد ظاهر لنتيجة العقم التى اتسمت بها كثير من البحوث والدراسات الاستشراقية، ولو أن كثيرا منهم. أنعموا أنظارهم فيما يبحثون؛ لجاءت نتائج دراساتهم مغايرة لما ظهرت عليه .

وجدير بالملاحظة ان هذا المرض البحثى أعنى عدم الاستقصاء وضعف التدقيق هو مرض تليد من قديم الزمن ومن أمثلته ماكتبه (أوريجين الاسكندرى)(*) (185 – 254)م آخر حياته بعنوان (الرد على كلسس) الذى كتب كتاب (المقال الحق) هاجم فيه اليهودية والمسيحية هجوما عنيفا(2) كما يفعل كثير من المستشرقين مع الإسلام،وافترى على موسى وعيسى والأنبياء ماهم منه برآء.

السبب الثالث /

إن كثيرا من الدراسات جاءت محكومة بنظرة مسبقة عن الموضوع المدروس بتأثيرات من المركزية الغربية من جهة والأحقاد التليده ضد الإسلام من جهة أخرى لذلك كانت هذه الدراسات تجىء موظفة لأهداف سابقة محدده غالبا.

لذا وبسبب إحكامهم المسبقة وأغراضهم الأيديولوجية غير العلمية، أقاموا بينهم وبين مواضيع بحثهم حواجز تمنعهم عن فهمها وحسن إدراكها(3).

وهذه المنهجة لاتتيح لصاحبها معرفة بالآخر إلا بقدر ما يجد فى نفسه.

---

(1) دفاع عن السنة : ص 8.

(*) فيلسوف ولد بالإسكندرية فى أسرة تنصرت سافر إلى فلسطين واضطهد ومات فى صور.

(2) انظر يوسف كرم (تاريخ الفلسفة اليونانيه) / دار القلم بيروت ص 276.

(3) روجيه غارودى والمشكلة الدينية / محسن الميلى ص 202.

السبب الرابع /

إن الكثيرمن الدراسات والبحوث الاستشراقية فى مجال المباحث الإسلامية اعتمدت على مقابلة حوادثها وقضاياها بما هو حاصل فى زمننا وظروفنا ولا ينظرون إليها بمعيار زمانها ومكانها، وهذا خطأ منهجى كبير لأن الحكم على الحوادث التاريخية مرهون بظروفها التى حصلت فيها[1]. لذلك كان غياب الوعى التاريخى مكمناً من مكامن الانحراف فى الدراسات الاستشراقية بعامة، مع استثناءات لاتنكر.

السبب الخامس /

عدم الاطلاع على مواضيع وقضايا بحوثهم، فى مظانها المناسبة لها. ولا فى مصادرها الأصلية المتسمة بدرجة التوثيق اللائق بالبحوث العلمية، ومثال اعتماد بعضهم فى مبحث السيرة النبوية مثلا على بعض الآثار والروايات ضعيفة الإسناد غير الموثقة وعلى كتابات بعض الأدباء والروائيين ومن ذلك أن بعضهم يعتمد فى كتاباته عن المباحث الإسلامية على مصادر ليست مؤهلة أصلا بأى وجه لأن تكون مرجعاً لبحث علمى فى أى قضية، ومثال ذلك اعتماد إحدى المستشرقات فى فرنسا فى بحث لها عن الإسلام على كتاب (أساطير القرون) (لفيكتورهوجو) فى قصيدة الأرز، وجعلته مرجعا لها فى رسالة للدكتوراه كانت تعدها سنة 1989 [2]. وقد لاحظ (محمد أسد) هذا العيب البحثى فقال عن المستشرقين ممثلا بجولدزيهر إنه يطعن فى كل حديث جاء الرسول معتمدا على كتب مجهولة لا يعتمد عليها (*).

السبب السادس /

عدم التزام الكثير منهم بالأمانة العلمية، والمنهج الموضوعى السليم، الذى ما خلت منه دراسة أو بحث ألا أصيب بالعقم على صعيد النتائج المرجوة ذات الإفادة لمن يتلقاها وهذا ظاهر فى كتابات كثير من المستشرقين مثل : (لامانس) و (غلوور)

(1) ساسى الحاج، الظاهرة الاستشراقية 214/2.
(2) انظر تسامح الإسلام وتعصب خصومه شوقى أبوخليل – منشورات مؤسسة مى للطباعة التوزيع 1990. ط 1.
(*) صحيفة الأسبوع الثقافى لقاء مع محمد أسد فبراير 1976، ص 8.

و(كولى) وغيرهم كثير ولنا ان نمثل بمثال لحيدتهم عن الأمانة العلمية، بما فعله (جولدزيهر) فى بعض بحوثه فقد نقل جولدزيهر كلاما عن الزهرى بعد تحريفه وهو (إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث) ثم قال جولد تسهير (وإن ذلك يفهم استعداد الزهرى لأن يكسو رغبات الحكومة باسمه المعترف به عند الأمة الإسلامية) والنص الحقيقى كما عند ابن عساكر وابن سعد (إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث فتعالوا أحدثكم بها فحدثهم)(1).

نجد هنا أن النص الأصلى يدل على أمانة الزهرى وإخلاصه فى نشر العلم فلم يُرضه أن يبذل للأمراء، ما منعه عن عامة الناس فناداهم وحدثهم، لا كما حرفه جولدتسهير ونقل جولدتسهير من قول وكيع عن زياد بن عبد الله أنه (كان مع شرفه فى الحديث كذوبا) وأصل العبارة كما فى التاريخ للإمام البخارى (وقال ابن عقبة السدوس عن وكيع : هو – أى زياد بن عبد الله– أشرف من أن يكذب)(2).

ونتيجة لكل ماسبق جاءت أغلب هاتيك البحوث والدراسات التى تمخضت عنها جهود المستشرقين مخالفة للجادة مبعدة للنجعة، وهذا الذى عليه نؤكد ليس مطردا فى كل البحوث الاستشراقية، بل فى أغلبها.

(1) القرآن والنبى، ص 398.
(2) نفسه ص 329.

المبحث الثانى
الصورة المزدوجة للتناول الاستشراقى

عند استقراء دراسات وبحوث المستشرقين بعامة قد نلقى بعضهم منصفا معتدلا، غير متحامل ولامتعصب وهذا الضرب هو الممثل للأقلية منهم – أى البحاث المستشرقين ،وإن كانت كتاباتهم المعتدلة تتركز فى تاريخ العلوم التجريبية عند المسلمين، وأثر المسلمين فى هذا المجال لا ينازع فيه إلأمكابر وهم فى هذا لم يأتوا بجديد غير إحقاق الحق – (وهو فعل محمود بلا شك) ومن هذا القبيل كتاب (زيغريدهونكه) (شمس العرب تسطع على الغرب) أما العلوم الشرعية فلا تكاد نجدا لها منصفا (إلا قليلا منهم) لخطورتها، وأهميتها فى حياة الإنسان، ولأن العلوم الشرعية هذه مرتبطة بالإسلام والدعوة العالمية للتوحيد، وإذاعة منهج الله على الأرض[1].

وفى ،المقابل هناك من المستشرقين من يمثل الاستثناء فى الموقف المضاد للفكر الإسلامى، أو المتحامل عليه، أو الممتهن لذويه. وكانوا يتمتعون بقسط وافر من الشجاعة الأدبية والأمانة العلمية (كما هو ظاهر فى شخوص كثير منهم ولنا أن نمثل بناصر الدين دينيه فى كتاب (محمد رسول الله) وروجيه غارودى، وروم لاندو، وماسينيون، وغيرهم ممن اتصف بالأمانة العلمية والشجاعة الأدبية) ومنهم من ارتضى الإسلام دينا مثل : روجيه غار ودى، وموريس بوكاى، وعلى شودكيفتش مثلا. ورغم السرج المنيرة فى ظلام التعصب، فإن صوت هؤلاء الذين احترموا عقولهم وصدقوا مع أنفسهم، كان أشبه بالهمس وسط المكاء والتصديه أو الضجيج الهائل فلا يسمعه أحد، وإذا سمعه لايأبه ولا يركن إليه لأن الضجيج الذى ساد جو الاستشراق غطى على مثل تلك الهمسات، وجعل عامة الناس

---

(1) ضوابط الرواية عند المحدثين – صديق البشير نصر، ص 283.

لا تطمئن إليها، بل ترك فيها عروقا من العقيدة الصحيحة إلى دين الشرق الملفق (زعموا)(1).

يمكننا أن نقسم المستشرقين الذين تناولوا الإسلام وقضاياه بالبحث والدراسة إلى قسمين قسم اتسمت بحوثهم بالموضوعية والأمانة وقسم فقدوا الأمانة واتسمت بحوثهم بعدم الموضوعية، وفي هذا الصدد نجد ممن تناول المنهج الاستشراقي في البحث الأستاذ مالك بن بني – رحمه الله – فهو يقسم المستشرقين من حيث اتجاههم العام نحو الإسلام من خلال كتاباتهم إلى قسمين : فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية، وطبقة المشوهين لسمعتها ويمثل الأستاذ مالك لطبقة المادحين والموضوعين في كتابا تهم وأفكارهم بـ (دوزى) و(سيديو) في علم الفلك ويآسيين بلاثيوس في الأدب(2) فهؤلاء بناء على ماحوته نتاجاتهم البحثية لا ريب في سلوكهم مسلك النصرة للحقيقة وللتاريخ؛ فخلت أعمالهم من آثار التعصب والمين، ولا يعني ذلك أن كتاباتهم خلو من الأخطاء والهفوات. فهذا مالا يدركه بشر.

ويرى الأستاذ السباعي، أن (غوستاف لوبون) خير مثال على الإنصاف والاعتدال فيصف كتابه (حضارة العرب) بقوله: إنه أعظم كتاب ألفه الغربيون في إنصاف الإسلام وحضارته(3) غير أننا لانعدم سقطات وتجاوزات للوبون في بعض كتاباته(*) ذكرنا بعضا منها في فصل سابق ومن الموضوعيين الذين برئت كتاباتهم عن الأغراض المستشرق (آدم متز) لا سيما في كتابه (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى)(**).

في هذا المقام سنمثل بنماذج لكل من الصنفين الذين يمثلان موقف الحركة الاستشراقية بعامة من الإسلام.

---

(1) (محمد دسوقي) خصائص الاستشراق في مرحلته الثالثة / مجلة كلية الدعوة الاسلامية ص 75.

(2) نفسه.

(3) ضوابط الرواية ص 282 وقد صنف شوقي ابو خليل كتاب النقد كتاب (لوبون في الميزان) ضمن سلسلة في الميزان له.

(*) للاطلاع على أمثلة لذلك انظر. ضوابط الرواية – صديق نصر – ص 282.

(**) ترجمة د محمد عبد الهادئ ابوريده تحت عنوان (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى) لجنة التالف والترجمة بالقاهرة 1957.

أولاً : القسم اللاموضوعي :

عرفت الحركة الاستشراقية بعامة كثيرا من الشخصيات التى جاء تناولها البحثي للدراسات الإسلامية، خاليا من أدنى درجات الموضوعية التى لا يصلح بحث عدمها، ولا تقوم لأى دراسة قائمة على الصعيد العلمي المعتمد إذا ما كانت خلوا منها. ولنا فى هذا المقام أن نعرض فقرات على سبيل المثال لا الحصر مجتزأة من بعض أقوال هذا الضرب من المستشرقين، فإليكها مشفوعة بأسماء أصحابها:

على سبيل المثال لا الحصر قول (غلادستون) فى معرض حديثة عن المسلم: (إنه الإنسان الذى لا إنسانية فيه).

ويقرر المسيو كيمون: (أن الديانة المحمدية جذام بين الناس، أخذ يفتك بهم فتكا ذريعا، بل هى مرض مريع).

ويقول لطفى لوفنيان: (إن تاريخ الاسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح).

ويذكر كارل بروكلمان – للحقيقة والتاريخ – متناسيا كل سماحة الإسلام –: (يتحتم على المسلم أن يعلن العدواة على غير المسلمين، حيث وجدهم، لأن محاربة غير المسلمين واجب دينى).

ويقول وليم موير (إن سيف محمد والقرآن هى أكثر أعداء الحضارة والحرية والحقيقية الذين عرفهم العالم حتى الآن عنادا).

وتيودور نولدكه أوصله علمه إلى (أن سبب الوحى النازل على محمد، والدعوة التى قام بها هو ماكان ينتابه من داء الصرع)[1].

هذه عبارات يفوح منها الافتراء بقدر يؤسف القارى

نعم كل هذا ما هو إلاغيض من فيض مما قد امتلأت به كتابات ومصنفات بعض المستشرقين وما أردنا بإيراد مثل هذه الكلمات البذيئة المغرضة إلاعرض

---

(1) انظر أضواء على مواقف المستشرقين – ص 5 – 6.

صورة صغيرة، ملتقطة من بعض كتب المستشرقين لتوضيح موقفهم وطبيعة نظرتهم ولعل دراسات أضراب هؤلاء جعلت عديد الباحثين يقولون مع المستشرق المسلم محمد أسد عند تقييمه للاستشراق «إن ضرره أكثر من نفعه»[1].

ثانيا: الصور الموضوعية:

لايفوتنا فى هذا الموقف أن نورد الصورة الأخرى من صور التناول الاستشراقى للإسلام وقضاياه غير أنها - وكما سنرى - جاءت بشكل موضوعى خلوٍ من أوحال العصبية وغبش الحقد الإيديولوجى.

من أهم المثالات للصورة الموضوعية ما جاء على لسان (غوستاف لوبون) عندما قال :

(كان تأثير العرب فى الغرب عظيما للغاية، فأورية مدينة للعرب بحضارتها، ونحن لانستطيع أن ندرك تأثير العرب فى الغرب إلا إذا تصورنا حالة أورية عندما أدخل العرب الحضارة إليها) ولا يخفى ما فى كتابه - أى لوبون- الهام (حضارة العرب) من إنصاف للعرب وحضارتهم(*).

وهذا (سيديو) يقول (ولقد حاولنا أن نقلل من شأن العرب، ولكن الحقيقة ناصعة يشع نورها من جميع الأرجاء وليس من مفر أمامنا إلا أن نرد لهم ما يستحقون من عدل إن عاجلا أو آجلا).

ويقول نيكلسون: (أعمال العرب العلمية اتسمت بالدقة وسعة الأفق ولقد استمد منها العلم الحديث - بكل ما تحمل هذه العبارة من معان - مقدماته بصورة أكثر فاعلية مما نفترض)[2].

---

(1) صحيفة الأسبوع الثقافى لقاء مع محمد أسد، 1976 ص 8.

(*) ترجمة (عادل زعيتر) عام 1945 عن الفرنسية وطبع بطبعة ثالثة عربية 1979 وكانت الثانية سنة 1948 الاولى 1945 وكتب عنه شوقى ابو خليل دراسة فى سلسلة فى الميزان (عن غوستاف لوبون).

(2) نفسه ص 10.

وهذا (هيجل) الفيلسوف الألماني «الذي عرفت عنه آراؤه الناقدة لجميع الأديان في كتابه (لغز العالم) نجده يقول في الإسلام : يجب علينا أن نعترف بأفضلية الدين الإسلامي على كل الأديان السماوية ...، فقد احتفظ بعقيدة التوحيد خالصة احتفاظا لا مثيل له في الديانتين اليهودية والمسيحية ... يظهر هذا حتى الآن في أدعية المسلمين وصلاتهم وخطبهم، وفي كل أركان شعائرهم»[1].

وفي هذا السياق تاتي أقوال الفيلسوف والأديب الأيرلندي (جورج برنارد شو) عن الاسلام ونبي الاسلام، رغم عدم اطلاعه الواسع على الدين الإسلامي وفلسفته، فهو يقول (لو قدر لرجل مثل محمد أن يتولى قيادة عالمنا المعاصر لتمكن من حل مشاكلة على النحو الذي يكفل له السلام والسعادة المنشودين..... وقد كان رده – أي شو – عندما دعي للإسلام إنني أومن بإسلام النبي محمد وإسلام الخلفاء الراشدين، وليس بإسلام مسلمي هذا العصر)[2].

وفي صورة ردة فعل على حملات التشويه والتدليس غير الموضوعية التي أنشأ كثير من المستشرقين والكتاب غير المسلمين يبثونها ينادي توماس كارليل في كتابه الأبطال يقول: «لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن في هذا العصر أن يصغي إلى من يظن أن دين الإسلام كذب. وأن محمدا خداع مزور... فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرناً»[3].

وعندما خرجت مقولات عديدة من تحت عباءة بعض المستشرقيين تقول: إن محمداً نبي الإسلام، هو المسيح الدجال، قام برنارد شو وتصدى للقائلين بهذه المقولة وقال: (إن الكتاب الذي نزل على محمد، وأخلاق محمد وتعاليمه التي تركها، كل هذه المعالم تقول إن محمدا لم ولن يكون دجالا في أي وقت من الأوقات فهو إنسان فاضل ..

(1) حوار حول الاسلام بين الفيلسوف الأيرلندي برناردشو والعالم المسلم عبد العليم الصديقي، ترجمة / مجدي محمد عبد الرحمن، دار الاعتصام، ص 10.
(2) نفسه ص 10 .
(3) كتاب الأبطال– ترجمة محمد السباعي – دار لرائد العربي – بيروت ط4 – 1982 ص 54. نقلا عن مقال : أثر اليهودية والصهيونية على الاستشراق– مقال لمحمد الزيادي بمجلة رسالة الجهاد ص 118.

كامل والذى جاء به لايمكن أن يكون مصدره بشراً)[1] فسبحان الله، إن من يسمع هذا الكلام مقطوعا عن مصدره وقائله، لا يداخله ريب فى أن قائله واعظ أو داعية مسلم قلباً وقالباً، وليس الفيلسوف والأديب (جورج برنارد شو).

وعلى الرغم من هذا كله يحرص كثير من أقطاب الاستشراق على طمس كل فضل لأمتنا فى عقيدتها وتاريخها وأثرها فى الحضارة الإنسانية، وحينما ألف (ناصر الدين دينيه) كتابه (محمد رسول الله) ثارت ثورة المستشرقين، لأنه لم يعبأ بما كتبوا، ولأن اعتماده إنما كان على مصادر إسلاميةكابن هشام وابن سعد. وقد نبه (دينيه) إلى أن الافتتان بالمستشرقين لا أساس له. وهذا أمر طبيعى؛ لأنهم أساتذة فى فكر رفضوه، وعقيدة ألحدوا بها وتاريخ حقد، وأمامهم حضارة يحرصون على إدانتها وهضمها حقها وعدم توضيح معالمها الحقيقة لاسيما فى الصعيد الأكاديمي. ومما قاله (روجيه غارودى): (لم يدرس الغرب الإسلام دراسة صحيحة حتى فى الجامعات الغربية، وربما كان هذا مقصودا مع الأسف) ويفسر هذا - أى عدم دراسة الإسلام على حقيقته - كثيرا من المواقف والآراء المجحفة بحق الإسلام، فما دام الإسلام لم يدرس دراسة صحيحة عند الغرب، فطبيعى أن تكون آراؤهم تجاهه، حاملة لطابع العداء، والسلبية مصداقا لقول من قال: المرء عدوٌ ما جهل.

من ثم فقد كان للإسلام ودراساته، نصيب كبير كما علمنا من الافتراءات والتلبيسات التى حاكها كثير من المستشرقين فضلا عن المبشرين النصارى فى سبيل النيل من هذا الدين الخالد والدستور السرمدى، والكيد له بشتى الطرق من بث فتن، ونشر شبه، وزرع تشكيكات. كل هذا كان صورة لإسقاطاتهم، نعم لنا أن نسمى ما بدر من كثير من المستشرقين إسقاطاً. والإسقاط (projection) كما هو معلوم فى علم النفس «حيلة لا شعورية تتلخص فى أن ينسب الإنسان عيوبه، ونقائصه، ورغباته المستكرهة، ومخاوفه المكبوته التى لا يعترف بها، إلى غيره من الناس، والأشياء، أو الأقدار أو سوء الطالع..الخ وذلك تنزيها لنفسه، وتخففا مما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب»[2] وهذا ما نراه منطبقًا على كثير من المستشرقين الذين

(1) حوار حول الاسلام .... ص 36.
(2) أصول علم النفس - أحمد عزت راجح - دار المعارف -ص 562.

تصدوا للبحث فى الدراسات الإسلامية، والكتابة على دين الإسلام الخالد، وليس بعيدا موقف من سار فى هذا المنهج السقيم، والكيد المغرض من موقف من حاول كبت نور الشمس بغربال - كما يقولون، وما ضر السحاب، نبح الكلاب، وقمن بنا فى هذا المقام التذكير بقوله تعالى فى هذه الفئة وإضرابها: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(*) .

وقول الشاعر :

لا يضر البحر أمسى زاخراً   أن رمى فيه غلام بحجر.

(*) سورة الصف الآية 8.

المبحث الثالث
موقف كتابنا

لم يكن موقف الكتاب المسلمين أمام الطروح الاستشراقية موقفاً موحداً بل جاء متناقضاً غير ثابت على جبهة واحدة، وقد كانت نظرة الريبة وسوء الظن والحذر، هى السائدة فى كتاباتهم عن المستشرقين مع ملاحظة أن أغلبهم كانوا عند كلامهم عن المستشرقين يزْجون أحكامهم وكلامهم بصيغ التعميم والإطلاق. ومن ثم يقعون فى مزالق التعميم التى تؤدى إلى مغالطات وعدم دقة فى الأحكام والنتائج البحثية.

ولنا أن نمثل ببعض الأمثلة عن ذلك بأقوال بعض كتابنا ودارسينا الذين تكلموا عن الاستشراق والمستشرقين.

فهذا الأديب (أحمد فارس الشدياق) جعلهم ضررا وبلاء لانفع منهم ولادفع وقال فيهم «إن هؤلاء الأساتيذ لم يأخذوا العلم عن شيوخه.. إنما تطفلوا عليه تطفلا وتوثبوا ثوثباً. وهذا الأمير (شكيب ارسلان) يقول (وعلى كل الأحوال لا يقدر أحد أن يقول إن الشرقيين ليسوا أدرى من الغربيين فى أدب الشرقيين ولغات الشرقيين وأما هؤلاء المستشرقون المتنطعون – ولا يطلق هذا إلا على نزر منهم – فإذا عثروا على حكاية شاردة، او نكتة فاردة فى زاوية كتاب قد يكون محرفًا. سقطوا عليها تهافت الذباب على الحلواء وجعلوها معيارا وقياسا..»[1]. لكن المفكر حمد الجاسر له رأى أكثر ثقة فيقول عن المستشرقين : «ولهؤلاء دور بالغ فى إرشادنا نحن العرب إلى كيفية الاستفادة من تراثنا... إننى أدرك أن كثيرا من المستشرقين لهم غايات سيئة... (لكن) فيهم أناس يجب إلا نهضم حقوقها؛ لأنهم درسوا العلم لوجه العلم»[2].

---

(1) المستشرقون . نجيب العقيقى 3/606 – 607.

(2) (حوار مع المفكر العربى أحمد الجاسر) مجلة الدوحة العدد 77 سنة 1982. ص 121.

ويرى د. محمد دسوقى أن الاستشراق والتبشير، وجهان لعمله واحدة. فهو يقول فى سطحية غريبة وتعميم غير علمي:

«إن الباحث المستقرئ لتاريخ الاستشراق والتبشير ينتهى لا محالة إلى القطع بأنهما وجهان لعملة واحدة، فهما يعملان لهدف مشترك وإن تباينت الوسائل والطرق، إنهما يبغيان محاربة الإسلام فى نفوس المؤمنين»[1].

وجعل دسوقى العمليات العلمية للحركة الاستشراقية ذات هدف واحد، غير علمي حين قال: فالاستشراق يمد التبشير بالدراسات العلمية التى تعبد إقامة طريق الدعوه إلى النصرانية[2] ونحو هذا ما يطرحه محمد البهى فى كتابه (الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى).

ولا يخفى ما فى كلام دسوقى وغيره من غمط لأفضال كثير من المستشرقين، وتجنٍ كان يمكن تفاديه باجتناب صيغ الإطلاق والتعميم التى لا يحّبذ استخدامها عادة عند إصدار الأحكام والنتائج لأن ذلك بعيد عن الدقة المطلوبة .

نعم ثمة علاقة بين الحركة الاستشراقية وبعض أطرافها وبين عملية التبشير، لكن لايعنى هذا وصم الظاهرة الاستشراقية بعامة بهذا الحكم، فنجعلها حركة دينية أو سياسة مغرضة، لمجرد أن بعض أفرادها قد عمل فى منظمات دينية أو اشتغل فى سفارات أو مراكز سياسية. إن فى هذا نفى ومصادرة للصبغة العلمية والصفة البحثية والدراسية للظاهرة الاستشراقية.

فى المقابل نجد بعض كتابنا قد نظر إلى الظاهرة الاستشراقية بنظرة أكثر اتزانا وعدلا كما هو رأى أحمد الجاسر آنف الذكر فقد التمس بعض علمائنا العذر لأغلاط المستشرقين فى التحقيق وقد حقق الأستاذ عبد السلام محمد هارون -مثلا- كتاب الاشتقاق لأبى بكر بن دريد فأثنى على (فيستنفلد) أول من نشره عام (1854) نشرة علمية ممتازة، أسدى بها خير كثيرا إلى الباحثين[3].

(1) الاستشراق والتبشير مجلة (رسالة الجهاد) العدد 32 سنة 1985 ص 107.

(2) نفسه ص 108.

(3) المستشرقون 608/3.

ويقول نجيب العقيقى ولم يقف جهدهم فى الجمع على مجرد الاقتناء بل فهرسوا ما جمعوا من تراثنا فهرسة عملية دقيقة ومن ثم انتقلوا إلى نشر ذلك التراث نشراً يعتمد على أدق منهج للتوثيق، والتحقيق وصحونا من نوما فإذا ألوف الذخائر العربية بين أيدينا محررة موثقة[1].

المبحث الرابع : فضل المستشرقين: (*)

ضمن كلام دقيق منصف قال الدكتور جاسم مشتاق رئيس قسم الفلسفة جامعة بغداد «للاستشراق وجه معتم عرفناه جيدا وآخر مضيء تقتضى الحكمة والمصلحة والضرورة فضلا عن الأمانة العلمية أن نعرفه أيضاً»[2] وقد حمل بشدة ومبالغة على ادوار سعيد صاحب كتاب الاستشراق لأنه لم يبين الوجه المشرق للاستشراق فى كتابه الصادر عام 1978.

وهذا الكاتب الكبير محمود المسعدى يقول عن ما سينيون إنه «كان إنسان علم ولم يكن استعمارياً، وكان له عشق خاص للإسلام وفى حقيقة نفسه متصوفا وقد صار فى أعلى منازل الدارسين للإسلام والثقافة العربية»[3] وهو الذى قال عنه محمد أسد «ماسينيون لا مآخذ عليه تقريبا»(**).

من باب إعطاء كل ذى حق حقه وسيرا فى سبيل المنهج الموضوعى فى البحث،نقدم هنا ذكر الجانب الإيجابى والوجه الذى أكسب البحوث الاستشراقية قيمتها العلمية، التى نسلم بأهميتها وريادتها فهذه صورة من صور الريادة الاستشراقية وفضل أصحابها لاسيما فى المباحث الإسلامية.

إن للمستشرقين فى مضمار الدراسات الإسلامية بخاصة – فضلاً عن ما فى المجالات الأخرى– باعًا طويلاً لايمكن التغافل عنه ولاغمط آثاره فقد صنفوا على

---

(1) نفسه 3/610.

(*) (فى الثقافة الإسلامية والآداب القرآنية) عبد الكريم غلاب ص 150 وما تلاها.

(2) انظر مجلة أفكار ص 44 وما بعدها.

(3) حديث تلفازى بتاريخ 17– 1– 1997.

(**) صحيفة الأسبوع الثقافى لقاء مع محمد أسد. 1976 ص8.

مختلف جنسياتهم ومذاهبهم وشاربهم بحوثاً ودراسات عن الإسلام بعامة، ونبيه، وخلفائه، وفرقه، وعلومه، وآدابه، وفلسفته، وفنونه (وكتبوا) من التحقيقات والترجمات ما لو جمع بعضه إلى بعض وأقصى عنه المهاترة والجدل والافتراء... لتألفت منه مكتبة حافلة على جانب كبير من التمحيص والرصانة والجدة[1].

إن الناظر إلى ما دونوه فى دراساتهم عن القرآن المجيد ومباحثة يجد شيئا يدعوا للذهول المشفوع بالإعجاب، مرده ضخامة الجهد المبذول وما ترتب عنه من نتائج علمية باهرة.

ومن مجهوداتهم فى هذا المجال على سبيل المثال ترجماتهم الكاثرة للقرآن فقد ترجمه لأول مرة إلى اللاتينية (روبرتاوف تشستر) و(هرمان الدلمالطى) عام (1143م) وتلتها ترجمة فى سويسرا (1543م) غير أن ترجمة الأب (جرمانوس الفرنسيسكانى) جاءت أدق من سابقتها لغة، وأوفى بالمعنى فعدت أولى الترجمات إلى اللاتينية (1660)م ثم سعى بعض علماء العرب وأعلام المستشرقين إلى ترجمته إلى اللغات الأجنبية – مكتفيا معظمهم بنقل معانية والبحث فيه[2] والحديث عن ترجمات القرآن يطول ورغم هذا لايمكن الغفلة عن ترجمة محمد أسد للإنجليزية التى يقول إنه عملها فى ما يقارب خمسة عشر عاما، مع تفسير للقرآن وقد أتم ذلك بجهد خارق[3].

كذلك بالغوا فى الاهتمام بمخطوطات القرآن الكريم وفى ذلك يقول الأستاذ أمين الخولى فى مؤتمر المستشرقين الدولى ال 25 (قدمت السيدة كراتشكوفسكى بحثا عن نوادر مخطوطات القران الكريم فى القرن السادس عشر الميلادى وإنى اشك فى أن الكثيرين من أئمة المسلمين يعرفون شيئا عن هذه المخطوطات)[4].

كذلك وفى ذات المضمار أنتجوا المصنفات الرائدة ريادة ثابتة،فى مجال فهرست وتبويب آيات القرآن وألفاظه، وكانوا فى هذا المضمار من الرواد السباقين ومن أشهر ما صنف فى هذا المجال، كتاب المستشرق الألمانى فلوجل (نجوم الفرقان فى

---

(1) المستشرقون 3/531.
(2) نفسه ص 3/531.
(3) لقاء مع محمد أسد ص 8.
(4) المستشرقون 3/598.

أطراف القرآن) وكتاب (تفصيل آيات القرآن الحكيم) الذى وضعه بالفرنسية المستشرق الفرنسى (جولا بوم) joIIepom ونقله للعربية محمد فؤاد عبد الباقى[1] .

ومن أعظم المجهودات الاستشراقية فى هذا المضمار وضع بعض المستشرقين لفهرس عام كبير للكشف عن الأحاديث النبوية الموجودة فى 14 أربعة عشر مرجعاً من مراجع السنة والحديث، والذى ترجمه الشيخ الدكتور، محمد فؤاد عبد الباقى ونشرة تحت اسم (مفتاح كنوز السنة)[2] .

وهو فهرس لاغنى لأىّ باحث فى مجال السنة عن الورود إليه والاستفادة منه، ومن ذلك ما وضعه لفيف من المستشرقين تحت عنوان (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى) والذى نشره المستشرقان (فنسنك) و (منسنج) استاذا العربية بجامعة (ليدن)(2) . وهو مجهود أقرب للإعجاز فى وقته.

هذا على صعيد النتاج والمنجزات أما على صعيد الأشخاص والذوات، فإن دراسة سير كثير من المستشرقين، تبين مدى العظمة التى كانوا يتحلون بها ومدى تفوقهم العلمى والذهنى مما يذكرنا بسير مالك، والبخارى، وابن تيمية، والشوكانى وغيرهم من سلفنا، ممن عرفوا بالتميزية الاستظهارية، والألمعية فى تاريخ العلوم الإسلامية فمن صور ذلكم أخذهم – أى المستشرقين– بأمهات اللغات سامية كانت أو آرية فدرسوا الكلدانية والأشورية والآرامية والسريانية، والعبرية .. وقارنوا بينها وحدود صلاتها باللغات الأخرى وهذا المستشرق (بينز) أحسن إحدى وخمسين لغة ولهجة، وقد صنف بعضهم قواعد لثلاث عشرة لغة شرقية وهذا (فرموند) أتقن ثلاثين لغة وتحدث (روكيرت) بثلاثين، (وشبولير) بخمس عشرة، وكتب (هامربرجشتال) بعشرة، وكان (دوزى) إلى تضلعه فى اللغات السامية يكتب بالاتينية والفرنسية، والأسبانية، والإنجليزية، والألمانية، والسويدية و(جويدى) يلقى محاضرات فى الجامعة المصرية بالعربية.

---

(1) الجودى مرداسى محاضرة بعنوان الحقول الدلالية بتاريخ 19/ 4/ 1995 (مخطوط).
(2) ظاهرة انتشار الإسلام / ص 71.

وقد قال صلاح الدين المنجد ركز الألمان على نشر التراث الإسلامى بدرجة يستحيل معها «أن يخرج مجمع علمى ما أخرجه مستشرق واحد »[1].

ولايفوتنا فى هذا المقام أن نذكر، بأن كثيرا من المستشرقين قد دخلوا عالم الإسلام الرحب ودانوا للعقيدة الإسلامية واعتنقوها بعد أن اطلعوا على حقيقة وجوهر الدين الإسلامى الخالد.

ومن أشهر هؤلاء الذين منّ الله عليهم بنعمة الإسلام :-

1 – الفيلسوف الكبير (روجيه غار ودى) أعلنه فى سويسرا فى شهر يوليو سنة 1982.

2 – الدكتورة (وارزولايات) الألمانية وقد تسمت بسامية الأزهرية.

3 – بوركهارت.

4 – كرنكوف.

5 – زبونستين.

6 – شنيدير.

7 – ليوبولدفايس النمساوى له كتب منها (أصول الفقه لإسلامى) و(الطريق إلى مكة) وقد تسمى باسم محمد أسد.

8 – لويس هادر وقد تسمى برمسيس محمد يوسف.

9 – فلورى[2].

10 – دينيه، وقد ألف بعد إسلامه فى الرد على شبه بعض المستشرقين كتاب (إنك فى واد وأنا فى واد).

11 –موريس بوكاى الفرنسى.

---

(1) للتوسع ينظر المستشرقون الألمان – بحث لمحمد الزيادى – كلية الدعوة الإسلامية عدد 3 – ص 286.

(2) المستشرقون 621/3.

ونختم كلامنا فى هذا المقام، والذى حاولنا من خلاله ان نبين الوجه المشرق والايجابى للحركة الاستشراقية التى شوهت صورتها بعامة عند جمهرة القراء نتيجة للمنهج الذى اتخذه أغلب من كتب عن الحركة الاستشراقية ذلك المنهج الذى لم يراع الاستثاءات ولم يوضح الصورة كاملة على حقيقتها مما أدى لخلق وبث تصور وتمثل غير متزن ولا دقيق عن الحركة الاستشراقية عند جمهرة القراء المسلمين.

وحسبى هنا أن أنقل للقارئ الكريم رسالة وجهها أحد المستشرقين للدارسين للحركة الاستشراقية ممن لم يحط بحقيقتها، وتكونت لديه عنها صورة غير حسنة مشفوعة بسوء الظن.

من ثم فقد كتب المستشرق (ستورى) يقول:

إنكم فى البلاد العربية تعتقدون أن المستشرقين متعصبون على الإسلام، ما أرى هذا الاعتقاد صحيحا دون قيد، نعم إن هناك فريقاً تعصب بحكم صنعته التى يرتزق منها ولكن هذا الفريق معروف عندنا كما هو معروف عندكم وليس من الإنصاف أن يشمل الحكم الباقين. إن الذين خدموا العربية كثيرون وقد حاولوا أن يكونوا منصفين فى أبحاثهم بقدر ما يمكن الإنسان أن يكون منصفا وان أخطأ باحث عن غير قصد فليس السبيل إلى تقويمه أن يجرح ويقذف ثم إننا نبحث عن لغات بعيدة عنا ونخوض فى موضوعات فى غاية الدقة مستعينين بالأساليب الحديثة كما أنه يشفع للطبيب الجراح إن أخفق فى عملية جراحية حسن نيته كذلك يجب ان يشفع للباحث طيب طويته وحرصه على الوصول إلى النتائج دون تعصب[1].

وفيما يلى أسوق نماذج أهم ما قام بتحقيقه المستشرقون بمختلف مدارسهم الجغرافية من ثرات المسلمين[2].

---

(1) المستشرقون 3/622.

(2) انظر (الدراسات العربية والإسلامية فى أوربا) ميشال جحا وموسوعة المستشرقين. عبد الرحمان بدوى.

أولا: المدرسة البريطانية

1 – المستشرق (مرجليوث) توفى (1940) حقق معجم الأدباء، وبعض أشعار المعرى.

2 – رينولد نيكلسون (1945) حقق كتاب (اللمع) وكذلك حقق (ترجمان الأشواق، لابن عربى).

3 – بوكول (1691) حقق قصة (حى بن يقظان).

4 – وليم لابن (1876) حقق (ألف ليلة وليلة).

5 – ليال (1920) حقق (المفضليات).

6 – آبرى (1969) حقق (رباعيات الخيام) (المواقف والمخاطبات) للنفرى.

7 – كيورتن (1864) حقق (العقائد النسفية) و(الملل والنحل).

8 – الجمعية الملكية لآسيوية البريطانية حققت الانساب للسمعانى. و تجارب الأمم لمسكويه.

ثانياً: المدرسة الفرنسة

1 – باربييه دى (1908) حقق (مروج الذهب) للمسعودى.

2 – بيلو (1906) حقق (القلائد الدرية من الأناجيل السرية) و(الغصن النضير).

3 – دوجا حقق (نفع الطبيب فى غصن لأندلس الرطيب).

4 – كوربان (1978) حقق (كشف المحجوب) للهجويرى و(أصوات أجنحة جبريل) للسهروردى.

5 – لويس ماسيينون (1962) حقق (أشعار الحلاج).

ثالثاً : المدرسة الإيطالية

1 – نلينو (1938) حقق (زيج الصابئ) وأشعارا لابن الفارض.

2 – غبريالى (1942) حقق (سيرة ابن هشام).

3 – دللافيد (1967) حقق (طبقات الشعراء).

رابعاً : المدرسة الأسبانية

1 – فرنسيسكو حقق (سيرة عنتره) .

2 – ريبيرا (1934) حقق (شعر الزجل لابن قزمان) .

3 – كيروس (1960) حقق (ديوان شعر حازم القرطاجى) .

4 – سلفادور حقق (تهافت التهافت) لابن رشد .

5 – فرنادودى لاغرانجا حقق (تحفة المغترب ببلاد الأندلس) .

خامساً : المدرسة الألمانية

1 – رايسكه (1774) حقق مجموعة من دواوين فى الشعر العربى .

2 – جيورج (1861) حقق (مفاكهة الظرفاء) .

3 – فلوغل (1870) حقق (الفهرست) و(كشف الظنون) و(محاضرات الأدباء) .

4 – الفارد (1909) حقق ديوانى: أبى نواس . والنابغة .

5 – ساخاو (1930) حقق (الطبقات الكبرى) .

6 – برجستر (1933) حقق (المختصر فى شواذ القرآن) .

7 – فيشر(1949) حقق (الفصول والغايات) .

8 –جوزيف شاخت (1969) حقق (الحيل والمخارج) و(اختلاف الفقهاء) .

الخـــــتام

ما سبق كان جولة قصيرة مقتضبة فى عالم الاستشراق الواسع المتشعب، حاولنامن خلال مجهودنا المتواضع ضمن ما انطوى عليه هذا البحث أن نقدم له صورة نضعها بين يدى القارئ فى سبيل توضيح الموقف الذى التزمته وصبغت به الدراسات والأبحاث التى تمخضت عنها جهود وأعمال رواد وأعضاء الحركة الاستشراقية الكبرى فى مجال المباحث والقضايا الإسلامية، عن طريق إلقاء الضوء على صيغة الشكل التناولى الذى سارت عليه الحركة. الاستشراقية فيما يتعلق بمباحث أربعة اخترناها؛ ليدور عليها رحى بحثنا ولتكون قطب الدائرة فى موضوعنا هذا - وقد اخترناها من بين مباحث الدراسات الإسلامية التى لم يكن بالطوق، تناولها جمعاء؛ لأسباب منها: ضيق المجال، ووهن الحوافز المعنوية خاصة، فاخترنا أربع قضايا هى :-

1 - قضية عالمية الإسلام.

2 - والتناول الاستشراقى للقرآن المجيد وما يتعلق به.

3 - والتناول الاستشراقى لمسائل علم الحديث والسنة.

4 - والتناول الاستشراقى للسيرة.

ثم أردفنا ذلك بفصل تقييمى، للحركة الاستشراقية.

ولما لم يكن بالوسع الوفاء لكل مبحث بحقه التام من التمحيص والتدقيق المناسب لأهميته وخطره ؛ لاتساع الموضوع، وتشعب مناحيه، وضعف الإمكانيات المعينة على العمل ؛ لأجل ذلك جاء تناولنا بشكل أقرب ما يكون للتناول العرضى، مراعين قدر الإمكان توضيح الصورة فى كل نقطة وجزئية أمكننا طرقها وتناولها

ضمن غضون البحث الذى أردناه إلى غير المتخصصين، من طلاب الجامعات مثلا، حتى يكون منطلقا إلى مزيد من التوسع والبحث فيما بعد.

أهم النتائج:

بعد جولتنا هاته، أمكننا أن نخلص إلى نتائج منها:

1 – إن الظاهرة الاستشراقية قديمة تاريخياً، بدأت من لدن توجه فلاسفة الإغريق الى العالم الشرقى والتزود من علومه ومعارفه. ورغم هذا فلم يجر الانتباه لأهميتها وخطر شأنها إلا فى وقت غير بعيد من جانب الباحثين المسلمين، فجعلوا يردون على ما يستأهل الرد، ويستفيدون مما فيه نفع بطرائق اختلط فيها الصواب بالخطأ والعلم بالجهل، والروية بالتهور.

2 – إن التناول الاستشراقى للدراسات الإسلامية والتراث العربى بعامة، كان دون المستوى الذى ينبغى أن تكون عليه حركة فكرية علمية كبرى لها أهداف علمية تسعى لدركها – بغض النظر عما شابها من الغبش السياسى والأيديولوجى – الذى ظهر جلياً فى جزء كبير من الإنتاج الاستشراقى.

3 – التوكيد على المجهود الذى بذله المستشرقون فى سبيل دركهم كنه الإسلام وفلسفته، وسبر أغوار مباحث دراساته على اختلاف مناحيها وتشعب مسالكها.

4 – كان للحركة الاستشراقية دور كبير فى تنبيه غَفَلَة أهل الشرق لاسيما العرب المسلمين، لأهمية تراثهم الفكرى والدينى بخاصة، فكان أن نشأ عن ذلك فى صورة هى نتاج لتلك اليقظة اهتمام إسلامى عربى بهذا التراث المكتنز، ترتب عنه نشاط فكرى علمى تمثل فى كثير من الكتب والمصنفات، التى كان مما تناولته، الرد والتنفيد لما أثاره بعض المستشرقين من شبهات وتلبيسات، وكذلك الاستغراق البحثى فى بعض ما نبه عليه المستشرقون فى دراساتهم وبحوثهم من مواطن بحثية كان أهلها قد غفلوا عنها.

5 – خطأ وخطر أسلوب التعميم المتبع من قبل أكثر الدارسين والبحاث العرب والمسلمين عامة، الوارد فى سياق حديثهم وردودهم على كثير ما أثاره بعض

المستشرقون من مسائل وقضايا، مما لا يتناسب مع شرائط الموضوعية والدقة والأمانة، ذلك أن تعميم وإطلاق الكلام بلا تقييد، نحو جهة ما يدخل كل أطرافها فى الحكم والإطلاق؛ وفى هذا تجن على كثير من المستشرقين الذين سلكوا جادة الحق تحت ضوء العلم، بمعية الموضوعية فى صدد تناولهم للإسلام ودراساته – تحديدا –. لقد اكتسبت الحركة الاستشراقية صورة شائهة حتى صار مصطلح مستشرق إذا ما أطلق يشفعه ويرافقه عند تصوره تلك الشخصية الغربية الكائدة للإسلام، الباحثة عن نقاط ضعف المسلمين المتتبعة لعوراتهم، المشهرة بمثالبهم.

والواقع خلاف ذلك فهذه الصفات لا تنطبق إلا على جمهور من المستشرقين – وأن كان هو الأغلب – وثمت شطر آخر خدم الإسلام والفكر الإسلامى والعربى، وقدموا ما عجز عن تقديمه كثير من أبناء الإسلام والعروبة فى سبيل الرقى بالتراث الإسلامى والعربى.

6 – رفض الإصرار على ربط الحركة الاستشراقية بالأهداف السياسية والبشيرية حتى عد البعض الاستشراق هو الوجه الآخر للعملة المقابل للتبشير فهما وجهان لعمله واحدة، كما يحلو للكثيرين أن يعبروا، إلى حد نزع الصفة العلمية لها، وتصويرها أى الحركة الاستشراقية بمظهر ممسوخ شوهته الرغبات والأهداف الاستعمارية والتبشيرية التى حاول الكثيرون قرنها بتكلف شديد بالحركة وأفرادها وساستها؛ فزلقوا فى مزالق التعميم وهوة الإطلاق مما ترتب عنه تشويه صورة الحركة الاستشراقية عامة وطمس مظاهر الإفادة والإشراق فيها وغمط حقوق كثير من الباحثين والدارسين المستشرقين، ممن هم من ذوى الفضل والأيادى على الدراسات الأدبية والعلمية والدينية وغيرها من مجالات البحث، مما ينضوى تحت عباءة الإسلام والعروبة.

7 – عدم إمكانية التعويل على البحوث الاستشراقية والاستدلال بها، فى أى مجال وجعلها مصدرا ومرجعا للبحوث الأدبية والتراثية، بله الإسلامية، إلا بتحرٍ ودقة، مع التسليم بأن فيها من العلم والدقة والتميز ما لا يوجد بسواها.

هذا أكثر ما أردت قوله والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

خالد المحجوبي
sskk192@yahoo.com

الملاحق

الملحق الأول

« أهم وأشهر المستشرقين المعاصرين »

- روسى ETToRERossI - 1894 - 1955 ميلادية :-

مستشرق إيطالى.. دخل جامعة يافيا حيث تخصص فى الدراسات الكلاسيكية (اليونانية - واللاتينية) لكنه مالبث أن استدعى للاشتراك فى الحرب العالمية الأولى، فأرسل أولا إلى طرابلس الغرب (ليبيا) وهنا فى طرابلس الغرب بدأ دراسة اللغة العربية وبدا أن مصيره هو الدراسات الشرقية وأصدر فهرس المخطوطات الفارسية فى مكتبة الفاتيكان و(فهرس المخطوطات التركية فى مكتبة الفاتيكان).

- روكرت RUCKERT- 1788 - 1866 ميلادية :-

شاعر ألمانى كبير ترجم الكثير من الأدبين العربى والفارسى نظما، وترجم مقامات الحريرى تحت عنوان أطوار أبى زيد [1] .

- روزن فريد ريش fRIEDRIcHrosEn - 1856 - 1935 ميلادية

كان (روزن) عالما ودبلوماسيا معا عمل فى الشرقين الأدنى الأقصى فترة طويلة.. أمضى طفولته فى القدس وقد كتب روزن مذكرات عن حياته فى الدبلوماسية بعنوان من حياة اسفار دبلوماسية فى مجلدين كما أصدر (مذكرات شرقية) فيها وصف تجاربة وإسفاره وذكرياته عن البلاد والشعوب التى شاهدها.

---

(1) عبد الرحمان بدوى – موسوعة المستشرقين – دار العلم للملايين ببيروت – ط2– ص 200 – 201.

وانظر المستشرقون. للعقيقى. وكذلك (الدراسات العربية والإسلامية فى أوربا) ميشال جحا.

- لامنس هنرى HENREELAMMCNS - 1862، 1937 ميلادية :-

مستشرق بلجيكى وراهب يسوعى شديد التعصب على الإسلام يفتقر افتقار تاما إلى النزاهة فى البحث والأمانة فى نقل النصوص وفهمها يعد نموذجا سيئا جدا للباحثين فى التراث الإسلامى من بين المستشرقين صنف (مهد الإسلام) و(مكة عشية الهجرة) فى السيرة ص 347.

وكتاب (الأسلام عقائد ونظم) وهو من أخبث كتبه.

- كرتشكوفسكى / 1883 - 1951 ميلادية :-

يعد من ابرز المختصين بالدراسات العربية من بين المستشرقين الروس، تركز إنتاجه فى :-

أ – نشر النصوص العربية القديمة.

ب – ترجمات لنصوص عربية قديمة.

جـ – دراسات وترجمات للأدب العربى المعاصر.

د – دراسات للاحوال الحاضرة فى العالم العربى.

- أبراهام كاش: -

عرف من نشاطه أنه مؤلف كتاب (اليهودية فى الإسلام).

- س، س آدامز C.C.ADAms

إنجليزى باشر التدريس فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الزمن ومؤلف كتاب (الأسلام والتجديد فى مصر) المترجم إلى العربية تحت العنوان المذكور.

- أدوارد آبر :-

أستاذ فى الجامعة الكاثوليكية فى واشنطن.

أدوارد فرمان EFERman :-

من ألد إعداء الإسلام المستشرقين طعنا فيه له كتاب بالإنجليزية عن (تاريخ المسلمين وفتوحاتهم) .

- ادوين كالفرلى ECALVERLEY

أمريكى متعصب رئيس تحرير مجلة العالم الإسلام (MUSLIMWARLD) الأمريكية لفترة من الزمن ومن محررى (دائرة المعارف الإسلامية) ومن الذين باشروا التدريس فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة عدة مرات، معروف باتجاهات تبشيرية سافرة.

- آديك شرودر :-

مؤلفة كتاب (أمة محمد) الذى صدر بالإنجليزية فى سنة 1955 ميلادية.

- ج س آرثر ARTHUR

مؤلفة (العناصر الصوفية فى محمد) الذى صدر بالانجليزى فى سنة 1954 ميلادية .

- آرثر جيفرى ARTHURJAFFRY

معروف بتعصبه السافر ضد الإسلام والمسلمين ومن كتبه :-

(مصادر تاريخ القرآن) صدر بالإنجليزية فى سنة 1937ميلادية.

(الكلمات الدخلية فى القرآن) بالإنجليزية.

(القرآن ككتاب ديتى) صدر بالإنجليزية فى سنة 1952ميلادية.

- ت و أرنولد T.W.ARNALD

إنجليزى اشترك فى تحرير (دائرة المعارف الإسلامية) ومن كتبه :-

(الدعوة إلى الإسلام) ترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور.

(الخلافة) صدر بالإنجليزية فى 1924 ميلادية.

(تراث الإسلام) صدر بالإنجليزية فى سنة 1931 ميلادية.

- آرنولد توينبى

إنجليزى له أخطاء فيما كتب الاسلام والرسول فى كتابه العالمى (دراسة فى التاريخ) وخطؤه هنا شديد الخطورة لأن الكتاب يعتبر أحسن دراسة موضوعية للتاريخ فى العصر الحديث فى نظر كثير من الناس وخاصة المشرقيين والعرب منهم بوجه أخص.

- أ. آ آلدر ELDER

قسيس يساهم فى تحرير (مجلة العالم الإسلامى) التى تصدر بالإنجليزية فى أمريكا.

- آلفرد كارلتون A.KARLTON

أمريكى كان مديراً لكلية حلب تم عين نائباً لرئيس جمعية البعثات الأمريكية التبشيرية فى الخارج.

- ج.ا.ا أيرنبرج J.EISENBERG :-

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

- أ. باجلياو A.BACLIARO

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

- ج بارث J.BARTH :-

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

- ر. باست R.PASST

من محررى (دائرة المعرف الإسلامية).

- ا. بشوب BASHOP : -

قسيس يساهم فى تحرير مجلة (العالم الإسلامى) الأمريكية.

- بروان BRAwAn : -

إنجليزى كان عضوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق.

- ل.ل بروان L.LBREwAn

قسيس أمريكى يساهم فى تحرير (مجلة العالم الإسلامى) الأمريكية.

- س، س برج :-

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

هـ. هـ. برو H.HBRAU

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

ا. ل بروفسال E.LpRovENsAL

من محرى (دائرة المعارف الإسلامية).

- ر. بل RBELL : -

إنجليزى كثير الخطا فى حديثة عن الإسلام والقرآن من كتبه :-

(أصول الإسلام فى بيتة المسيحية) صدر فى سنة 1926ميلادية.

(القرآن) صدر فى سنة 1937ميلادية.

(مقدمة القرآن) صدر فى سنة 1954ميلادية.

- ربلاشيرRBLACHER : -

من محرى (دائرة المعارف الإسلامية).

- م بلسنر m.pLAssER

من محرى (دائرة المعارف الإسلامية).

- ف بول F.BUHL : -

من محرى (دائرة المعارف الإسلامية).

- ت.ف بوتشر T.V.BUCHNR

من محرى (دائرة المعارف الإسلامية).

- ج بيدرسن J.pADERSEN :-

دانيمركي ومن محرى (دائرة المعارف الإسلامية) وكان عضوا بالمجمع العربى بدمشق.

ك. بيكنز :-

قسيس يساهم فى تحرير (مجلة العالم الإسلامى) الأمريكية.

ا.س بيفريدج A.s.BEvERIDGE :-

من محرى (دائرة المعارف الإسلامية).

- س.هـ بيكر S.H.BECKER : -

من محرى (دائرة المعارف الإسلامية).

رنشودى. R.CHUDI : -

من محرى (دائرة المعارف الإسلامية).

- توماس جوينبول TH.JUYNDALL : -

من كبار محرى (دائرة المعارف الإسلامية).

- تيودرى نولدكه T.NALDEKE :-

ألمانى معروف بعدائه للإسلام له كتاب عن القرآن وكتاب آخر عن التاريخ الإسلامى ظهر بالإنجليزى في سلسة تاريخ العالم.

- فرانتز رورنتال :-

ولد فى برلين عام 1984 ميلادية وتلقى علومه فى جامعتها حيث حصل على درجة الدكتوراة عام 1935 ميلادية، قدم إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1940 ميلادية وعمل أستاذاً مساعداً للغات السامية فى كلية الاتحاد العبرى فى سنسناتى من ولاية أوهايو..درس اللغة العربية فى جامعة بنسلفانيا وهويشغل منذ عام 1956 ميلادية منصب أستاذ كرسى (لويس م.رابينويتر) اللغات السامية فى جامعة (بيل) له عدة مؤلفات وقام بأبحاث عن الشرق الأدنى وتركيا أثناء تجواله فيهما.

- كايتاني CAETANI :-

مستشرق إيطالى وكان عضواً بالمجمع العلمى فى دمشق.

– أ جروهمان A.CRAHMAN :–

من محرى (دائرة المعارف الأسلامية).

- جريفني CRAFFNI :-

أيطالى وكان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق.

- جوتهيل CATTHAIL :-

كولومبى وكان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق.

- ل جوثير L.GAUTIER :-

كولومبى وكان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق.

- **ل جوثير L.GAUTHIER :** -

فرنسي متعصب دينيا وعرقياً كثير التشهير بالإسلام والحقد عليه، من أتباع فكرة تمييز الآريين على غيرهم (انظر ص 25 وما بعدها من العدد (1) ومن المجلد 9 يناير سنة 1925من مجلة (جمعية الدراسات الشرقية).

- **جودفروى ديمومنبز gaudepraoy :** -

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية) له كتاب عن الحج فيه كثير من الخلط والتشوية، (انظر ص 13 من العدد (1) من المجلد 9 يناير سنة 1952 من (مجلة الدراسات الشرقية).

- **و. جوكمان w. bjarkman :** -

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

- **جويدى guidi :** -

إيطالى وكان عضوا بالجمع العلمى العربى فى دمشق.

- **ب. جويل B. joel :** -

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

- **جى دوسو guy dussand :** -

فرنسى كان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق.

- **جيمس هنرى. بريستيد :** -

أمريكى كان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق.

- **ج. ل. دلافيدا :** -

من كبار محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

- ا. هـ. دوجلاس :-

من محررى (مجلة العالم الإسلامى) الأمريكية.

- د.م دونالسون :-

قسيس أمريكى يساهم (مجلة العالم الإسلامى) الأمريكية من كتبه.

(أ) دين الشيعة صدر فى عام 1937 ميلادية.

(ب) دراسات فى علم الأخلاق الإسلامية صدر عام 1953 ميلادية.

- دكابور:-

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية) وله كتب عن الفلسفة الإسلامية ترجم بعضها إلى العربية.

- ديتريش DIETRICH

من محرى (دائرة المعارف الأسلامية).

- (ر. روبرتر) R.RoberT

إنجليزى مؤلف «القوانين الاجتماعية فى القرآن» وهو دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة فى القوانين الاجتماعية صدرفى عام 1925 ميلادية.

هـ - ريكندروف

من محرى (دائرة المعارف الإسلامية) وله بعض الكتب.

- ك.ف. زيترستين k.V.ZETTERSTEEN

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

- سبايز

من محرى (دائرة المعارف الإسلامية).

- م ستـرك

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

- ستيفن وونسمان :-

مؤلف «تاريخ الحروب الصليبية».

- سنوك هورجرونيه :-

هولندى ومن محررى (دائرة المعارف الإسلامية) حارب الإسلام والمسلمين بكتبه وكان مستشاراً فى شئون اندونيسيا له كتاب «الإسلام».

- ر. شتروتمان

ألمانى الأصل من محرر دائرة المعارف الإسلامية.

- ب. شريك،

من محرى دائرة المعارف الإسلامية.

- ج. شليفر

من محرى دائرة المعارف الإسلامية.

- صمويل مرسر:-

أمريكى وكان رئيسا لجمعية الدراسات الشرقية الأمريكية التى تأسست فى ولاية (أوهايو) كان لها فروع فى أوروبا وكندا، كما كان رئيسا لتحرير مجلة هذه الجمعية.

ك. فوللرز

من محررى دائرة المعارف الإسلامية.

ف فوكا

من محررى دائرة المعارف الإسلامية.

-ا- فيشير

ألمانى الأصل ومن محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

- كارل بروكلمان

المانى الأصل ومن محررى (دائرة المعارف الإسلامية) صاحب أكبر موسوعة فى تاريخ الآداب العربية باللغة الألمانية، ومن مؤلفاته الهامة (تاريخ الشعوب الإسلامية) المترجم إلى الإنجليزية من الألمانية. كان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق.

- ر.ا. كرن

من محررى دائرة المعارف الإسلامية.

- كوستي ولسون

يساهم فى تحرير مجلة العالم الإسلامى الأمريكية.

ج - هـ كريمرز

هولندى من محرى دائرة المعارف الإسلامية كثير الطعن فى الإسلام وصاحب ميول تبشيرية سافرة.

- لونجوورث دايمز :-

من محررى دائرة المعارف الإسلامية.

- ت. لويشى

من محررى دائرة المعارف الإسلامية.

- ب لويس :-

إنجليزى له مقالات كثيرة وبعض الكتب منها العرب فى التاريخ، صدر فى 1950.

- ر. ليفى

متخصص فى الدراسات الاجتماعية الإسلامية ومن كتبه.

مقدمة لدراسة علم الاجتماع صدر عام 1933

- ج. مارسايز

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

الملحق الثانى

« من أهم ما أنتجه المستشرقون »

– دائرة المعارف الإسلامية the Ency clopadiaof lslam

صدرت بعدة لغات حية.

– موجز دائرة المعارف الإسلامية shorterency clopaediaof lslam

– كتاب (حياة محمد) تأليف وليم موير w. muir.

– كتاب (الإسلام) تأليف الفردجيوم a. geom.

– كتاب (دين الشعبية) تأليف دونالدسون Donaldson

– كتاب (تاريخ شارل الكبير) تأليف القس تبر بن Tuprpin

– كتاب (الإسلام) تأليف هنرى لامنس.

– كتاب (الإسلام اليوم) تاليف ابرى ,وظهر باللغة الإنجليزية.

– كتاب (دعوة المئدنة) تاليف كينيت راج وظهر باللغة الإنجليزية.

– كتاب (تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى). تاليف جولد تسهير Goldziher.

ظهر باللغة الإنجليزية وترجم إلى العربية.

– وكتاب (الدراسات محمدية) جولد تسير قام صديق بشير نصر بترجمة بعض فصولة إلى العربية.

– كتاب (الحوليات الإسلامية) للإيطالى : كايتانى.

– كتاب (محمد ونهاية العالم) تاليف : كازانوفا.

– كتاب (إنسانية الإسلام) مارسيل بوازار.

المصادر والمراجع



المصادروالمراجع

- القرآن الكريم. برواية. حفص عن عاصم

- الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ـ مصطفى نصر المسلاتي / دار اقرا للطباعة والنشر والترجمة والخدمات الأعلامية، الطبعة الأولى 1986 .

- أصول علم النفس / أحمد عزت راجح ـ دار المعارف – 1987 .

- أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين / شوقي أبو خليل – منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس – ليبيا – 1991 م .

- اقتضاء الطراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الحديث القاهرة.

- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث – لابن كثير – شرح: أحمد شاكر.

- تسامح الإسلام وتعصب خصومة شوقي أبوخليل. منشورات مؤسسة مى للطباعة 1995 ط.

- التقييد والإيضاح لما أطلق وأبهم من مقدمة ابن الصلاح – زين الدين عبدالرحيم العراقي. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. لبنان ط2 ، 1993 .

- توثيق السنة في القرن الثاني الهجري– أسسه واتجاهاته – رفعت فوزي عبد المطلب – مكتبة الخانجي – مصر – 1981 م.

- التآمر على التاريخ الإسلامي / أحمد عبدالاخر.

- حاضر العالم الإسلامى - لوثروب ستوارد -مع حواشى وتعليقات الأمير شكيب أرسلان - ترجمة عجاج نويهض - دار الفكر بيروت ط2، 1972 م

- حوار حول الاسلام بين الفيلسوف الأيرلندى برناردشو و العالم المسلم محمد عبد العليم الصديقى - ترجمة مجدى محمد عبد الرحمن - دار النصر للطباعة والنشر- القاهرة - مصر.

- دفاع عن السنة - محمد بن محمد أبوشهبة - مكتبة السنة 1989 م - الطبعة الأولى.

- الدين والمجتمع العربى \نخبة من الدارسين - مركز دراسات الوحدة العربية - والجمعية العربية لعلم الاجتماع - الطبعة الأولى.

- روح الدين الاسلامى - عفيف طبارة - جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ، ليبيا. الطبعة السادسة.

- الزهد - أبو عبد الله احمد بن حنبل - تحقيق محمد جلال شرف - دار الفكر الجامعى 1984 م.

- الصحاح - إسماعيل بن حماد الجوهرى - تحقيق أحمد عطار - دار العلم للملايين. بيروت.

- صحيح مسلم - أبوالحسين مسلم بن الحجاج - تحقيق : محمد جلال شرف - دار الحديث - القاهرة - 1991 م - الطبعة الأولى.

- ضوابط الرواية عند المحدثين - صديق بشير نصر - منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامى - طرابلس - ليبيا - 1992 .

- الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية - ساسى سالم الحاج - مركز دراسات العالم الإسلامى - طرابلس - ليبيا.

- ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها - محمد فتح الله الزيادى - المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلام - طرابلس - ليبيا - الطبعة الأولى.

- روجيه غارودى والمشكلة الدينية / محسن الميلى. دار قتيبة ط1 - 1993 .

- المنار المنيف فى الصحيح والضعيف / ابن القيم، محمد بن أبى بكر، تحقيق عبد الفتاح أبوغدة، نشر مكيته ابن تميمة بالقاهرة.

- العرب والإسلام. روم لاندو -ترجمة منير بعلبكى - دار العلم للملايين. بيروت ط2 - 1977

- علوم الحديث ومصطلحه - صبحى الصالح، دار العلم للملايين - بيروت 1988.

- فتح البارى، شرح صحيح البخارى - الإمام الحافظ ابن حجر العسقلانى- دار الفكر للطباعة والنشر.

- الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى - محمد البهى - دار مكتبة الفكر ـ طرابلس - ليبيا - الطبعة الخامسة.

- القرآن والنبى - عبد الحليم محمود - دار المعارف - القاهرة - الطباعة الثالثة.

- كيف نفهم الإسلام - فريتجوف شيون - ترجمة عفيف دمشقية - دار الاداب - بيروت ودار الغد للطباعة والنشر 1978 م الطبعة الأولى.

- لسان العرب ـ ابن منظور - دار المعارف.

- مختار الصحاح - الإمام محمد بن أبوبكر - ترتيب محمود خاطر - الهيئة المصرية للكتاب.

- المستشرقون - نجيب العقيقى - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الرابعة.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن - محمد فؤاد عبد الباقى - دار الجيل- بيروت.

- منهج البحث فى العلوم الإسلامية، محمد الدسوقى- دار الأوزا عى - ط1 -1984.

- مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى - فرانتز روزنتال - ترجمة أنيس فريحة. الدار العربية للكتاب.

– من قضايا الفكر الإسلامى، كما يراها بعض المستشرقين – صديق بشير نصر وآخرون منشورات كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس – ليبيا.

– موسوعة المستشرقين – عبد الرحمن بدوى – دار العلم للملايين. ط2. 1989 .

الدوريات

– مجلة رسالة الجهاد – جمعية الدعوة الإسلامية – طرابلس – ليبيا – السنة الثالثة.

– مجلة العربى – وزارة الاعلام بالكويت.

– مجلة الفكر العربي – تصدر عن معهد الإنماء العربى – بيروت – لبنان.

– مجلة (كلية الدعوة الإسلامية) عن جمعية الدعوة الإسلامية – طرابلس– ليبيا.

– مجلة الدوحة – قطر– 1972 .

– مجلة الثقافة العربية – طرابلس– ديسمبر 1976 .

–مجلة أفكار – وزارة الثقافة الأردنية 1994 .

فهرس الموضوعات

المقدمة 7

تمهيد (الاستشراق: المفهوم والتطور) 13

المبحث الأول : مفهوم الاستشراق 15

المبحث الثانى : نشأته ومراحله وتطوره 18

المبحث الثالث : من صور النشاط الاستشراقى 20

الفصل الأول التناول الاستشراقى(عرض وبيان) 23

توطئة 25

– المبحث الأول : عالمية الإسلام 26

– المبحث الثانى : المستشرقون والقرآن 28

المبحث الثالث : المستشرقون وعلم الحديث 33

المبحث الرابع : المستشرقون والسيرة 39

الفصل الثانى (الطروح الاستشراقية بين التصويب والتفنيد) 53

– المبحث الأول : الرد على من لم يسلم بعالمية الإسلام 55

– المبحث الثانى : الرد على طروحهم بشأن للقرآن 58

– المبحث الثالث : الرد على طروحهم فى علم الحديث 63

– المبحث الرابع : الرد على طروحهم فى السيرة 77

الفصل الثالث: (الظاهرة الاستشراقية مالها وما عليها، نظرة نقدية) 93
– المبحـث الأول : عقم التناول الاستشراقى 95
– المبحث الثانى : الصورة المزدوجة للتناول الاستشراقى 99
– المبحث الثالث : موقف كتابنا 106
– المبحث الرابع : فضل المستشرقين 108
الختام 115
الملاحق : 119
– الملحق الأول : أهم وأشهر المستشرقين المعاصرين 121
– الملحق الثانى : من أهم ما أنتجه المستشرقون 132
المصادر والمراجع 135
فهرس الموضوعات 139

طباعة وتنفيذ:



122 عثمان بن عفان - الكلية الحربية - مصر الجديدة - القاهرة - مصر

بريد إلكتروني: ihci@link.net الموقع الإلكتروني: www.ihciegypt.com

تليفون/ 26391113 - 26391112 (00202) فاكس/ 26372122 (00202)

هذا الكتاب

يوضح الكتاب حقيقة الاستشراق والمستشرقين والمجهود الذي بذله المستشرقون في سبيل دركهم كنه الإسلام وفلسفته وسبر أغوار مباحث دراساته على اختلاف مناحيها وتشعب مسالكها ودور الحركة الاستشراقية في تنبيه غفلة أهل الشرق لاسيما العرب المسلمين لأهمية تراثهم الفكري والديني بخاصة. ترتب عنه نشاط فكري علمي تمثل في كثير من الكتب والمصنفات التي كان مما تناولته، الرد والتفنيد لما أثاره بعض المستشرقين من شبهات وتلبيسات، وكذلك الاستغراق البحثي في بعض ما نبه عليه المستشرقون في دراساتهم وبحوثهم من مواطن كان أهلها قد غفلوا عنها.



